

## الفصل الأول



### صورة المرأة في الشعر

المبحث الأول : صورة الأم.

المبحث الثاني : صورة الأخت.

المبحث الثالث : صورة الزوجة.

المبحث الرابع : صورة الإبنة.

المبحث الخامس : صورة الحبيبة.

المبحث السادس : صورة الجارية

obeikandi.com

المبحث الأول  
صورة الأمم

لقد كَرَمَتِ الشرائعُ السماوية المرأةَ علاوةً على القوانين الأرضية، ونجدُ البيانَ القرآنيَ قَدِمَ لنا المرأةَ الأمَ في صورةٍ كريمةٍ، حبذا لو اتعظت بها كلُّ الأمهات، فقصَّ علينا القرآن الكريم من ماضي التاريخ الديني للبشريةَ قِصصاً تؤكدُ ... أن المرأةَ هي التي إنفردت بتربية الأبناء<sup>(١)</sup>. واستمدت من اللغة العربية معنى الأصالة والعموم والأهمية البالغة، ذلك لـ (أَنَّ أُمَّ كُلِّ شَيْءٍ أَصْلُهُ)<sup>(٢)</sup>. واكتسبت من أي الذكر الحكيم مدلول : القدسية والطهارة والنبل. (وكانت العرب تسمى الأرض أماً، لأنها مبتدأ الخلق، وإليها مرجعهم، ومنها أقواتهم، وفيها كفايتهم)<sup>(٣)</sup>. ويبدو أن المشابهة بين الأرض والمرأة قديمة قدم الحياة<sup>(٤)</sup>.

ولا ننسى أن المرأةَ في طورِ أولٍ من تاريخها عُدَّتْ في المقام الأول أماً. يومئذ كانت الوالدة تحاط بضروب الإحترام والتكريم كأم. وأن رسوم العصر الحجري القديم سواء كانت منقوشة أم مرسومة أم منحوتة كانت تمثل الوالدة- Genitrix- والأمّ واهبة الحياة كانت بالنسبة للرجل قبل كل شيء أماً. لذا فإن الإحترام الذي يكنه الرجل للمرأة يبدو موجهاً إلى الأم أكثر منه إلى الزوجة<sup>(٥)</sup>. قال

(١) امرأة عمران: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ". وأمُّ إسماعيل الأمة المنبوذة " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ وَأُمُّ مُوسَى هي التي أوحى إليها فأنقذته من المذبحة لقلوبه تعالى " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفِتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي °.

(٢) أبو منصور التعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: م ١ ص ٢٠٣ مطبعة الظاهر سنة ١٩٠٨.

(٣) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : ص ١٠٤ شرح ونشر السيد أحمد صقر/ ط ١٩٧٣ دار التراث.

(٤) مونيكبيتر : المرأة عبر التاريخ : ص ١١ ترجمة هنريت عبودي. دار الطبيعة. بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٩.

(٥) المصدر نفسه : ص ٥-٧ - ١٠ - ٧٩.

تعالى ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سَامِيْنٍ أَنْ  
أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ))<sup>(١)</sup>.

فالأية خَصَّتْ الأم بالذكر وأشادت بتضحياتها في حمل الولد ورضاعته سنتين  
متواليين من السهر والعذاب ... وكان يقال عند الاستخيار عن ولادة امرأة: (أحلبت  
ناقتك أم أحلبت؟ أي أولدت أنثى تحلب أم نكرأيجاب للبيع)<sup>(٢)</sup> وكما حظيت الأم بتكريم  
القرآن حظيت بتكريم الإنجيل ، فنلاحظ (أوله باسم الأب والأم والابن)<sup>(٣)</sup> والمراد  
بالأب هو اسم الله. وبالأم كنه الذات المعبر عنها بماهية الحقائق وبالابن هو الوجود  
المطلق لأنه فرع ونتيجة عن ماهية الكنه<sup>(٤)</sup>.

ولقد ضمَّ المجتمع الأندلسي كثيراً من الأمهات المسيحيات، وأكثرهن بقين  
على دينهن، لم يغير من طابع سعادة بيوتهن إختلاف العقيدة بين الزوج وزوجته أو

(١) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٢) الزمخشري : ربيع الأبرار : ج٤ ص ٢٨٩ . تحقيق . سليم النعيمي - مطبعة العاني .

\* الأم : بمعنى الجلدة الرقيقة على الدماغ معرب اليونانية (الاميس) Eilamis عربها العزب  
أولاً . أنظر انستانس الكرمللي : المساعد سلسلة المعاجم والفهارس : ج٢ ص ٣٧ . دار الحرية  
للطباعة ١٩٧٦ ، بغداد . تحقيق كوركيس عواد .

(٣) أنظر حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : ج١  
ص ٨ - مؤسسة شعبان - بيروت .

(٤) المصدر نفسه : والصفحة نفسها .

والمعروف عن المسيحيين باسم الأب - والابن - وروح القدس . انظر جبران سعود : الرائد  
: ص ١٨ ط١ بيروت - ١٩٦٤ .

الولد وأمه<sup>(١)</sup>. ومنهنّ على سبيل المثال والدة عبد الرحمن الناصر (مارية) من سبي الفرنجة وهي مسيحية وتسميها الرواية العربية (مزنة)<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمّ فمنّ يستطيع أن يُعطي لوحةً كاملةً عما تدّين به البشرية لهؤلاء اللواتي أنجبين في الآلام والآلاف والآلاف من الأجيال البشرية<sup>(٣)</sup>.

ربما استطاع الشاعرُ أن يرسم صورةً فيض الحنان والعناية الذي حظيت به هذه المخلوقات الطرية العود... فلننظر صورة تلك الأمّ.

### "الأمّ في الشعر"

ولما كان الشعر له صلة بالشعور وعلاقة بالطبع واختلاف الظروف، لذا بدت صورة الأمّ في شعر الأندلس متباينة السمات، مختلفة الملامح، ودارت تلك الصورة في أغراض محدودة أهمّها الرثاء المديح والهجاء.

### الرثاء :-

وللأمّهات نصيبٌ في ذكرهن على أسنة الشعراء، وصعبَ عليهم تأيينها في مجال الرثاء والتعزية<sup>(٤)</sup> والمواساة. من ذلك قصيدة لابن زيدون في رثاء أمّ المعتضد، يذكر حسن خلقها وأخلاقها معرجاً على أحاديثها الساحرة التي تفوح مسكاً. متأسفاً على فقدهم إياها فقد عدّها فخراً للدين والدنيا معاً قائلاً<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

(١) مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده : ص ٨٠ ، ط-٤ دار العلم للملايين - ١٩٧٩ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس : ص ٤٣ تحقيق إبراهيم الإبياري . ط-٢ بيروت - دار الكتاب . وانظر علي أدهم ، عبد الرحمن الناصر : ص ١٠ ط. دار القدس، بيروت .

(٣) المرأة عبر التاريخ: ص ١٠ .

(٤) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ٤٩٠ .

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ١٣٤ تحقيق نديم مرعشلي - الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت .

خلائقٌ مُمهّاةُ الفرندِ، كأنها  
تتأفحها منها أحاديثٌ سُودِدُ  
وَدُمّتْ مَلقى أنجم السعدِ، باقياً  
حذائقُ روضِ الحزنِ جيدِ، فأينعاً<sup>(١)</sup>  
تخالُ فتيتَ المسكِ عنها تَضوَعاً  
لدينِ ودنيا، أنت فخرهما معاً

ثم جسدَ وقع المصاب الأليم ، فهو بلاشك عظيم على نفوسهم ومثله  
قوله<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

أصبنا بما لو أن هضت مآلع  
أصيبَ به لا نهَدَّ ، أو لتضعضعا  
ويستمرُّ الشاعرُ بوصفِ تقواها وورعها وبرها المتواصل فهي حقاً مثال  
للخيرِ وشمسُ أفلتَ هُداها بعدَ أن كانت مشرقةً لمحرابٍ في خدرها، يقول: [الطويل]

منارٌ من الإيمان، لم يعدْ أن هوى  
وشمسُ هُدَى أمس لها التريبُ مغرباً  
وحنبلٌ من التقوى ، وهي فتقطعا<sup>(٣)</sup>  
وكان لها المحرابُ في الخدرِ مطلعاً  
إذا ما هي استوفت من البرِّ غايةً  
تأتت لأخرى لا ترى تلك مقنعاً

ونجد أبا بكر<sup>(٤)</sup> بن عبد الصمد قد بثَّ شجونه بموت والدة المعتمد بن  
عباد التي بدت مجالستها للرجال واضحة وحضورها المنتديات، فلم يعد المجلس  
مقتصراً على الرجال وحدهم بل والنساء كذلك: [الكامل]

(١) ممهاة الفرند : مصقولة اي تامة الحسن. الحزن : الأرض الصعبة . جيد: أي جادها الغمام .  
فأينعاً : ازدهر .

(٢) ديوان ابن زيدون : ص ١٣١ - ١٣٢ . تحقيق نديم مرعشلي .  
(٣) المصدر نفسه: ص ٥٥٠ - ٥٥٥ شرح وتحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر بالجمالية  
- شارع كامل صدقي - ١٥٧ .

(٤) تاريخ أسبانية الإسلامية (أعمال الإعلام): ص ٣ - ص ١٦٥ - ١٧٠ . أورد الفتح أول هذه  
القصيدة في قلائد العقيان : ص ٣١ .

أبو بكر (وأبو بحر) بن عبد الصمد : يوسف بن أبي القاسم خلف بن خلف بن أحمد. لقد قصت  
الدنيا عليه فاتصل بالمعتمد بن عباد ، وخطبَ عنده فارتقت منزلته ونال من المعتمد عطايا  
كثيرة. ولم تحدد سنة وفاته، ويبدو أنه توفي في أواخر القرن الخامس للهجرة. انظر العماد  
الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر : القسم الخاص بشعراء الأندلس وأدبائها: ص ٦٠٩  
تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم - دار نهضة مصر - القاهرة.

إني لأعجبُ من ضجيعتك التي      قد كان قريبك أنسها في النساد  
جاورتها في قبرها فكأنما      قد كنتما في ذا على ميعاد

وقد كناها بأُمّ الملوك مُخبراً إياها بزيارة ابنها البار، متألماً على فقد تلك  
السجايا والخصال، وصوّرَ حدادُ الدنيا لفقدِها المجد والعلا معاً قائلاً: [الكامل]

أُمّ الملوكِ أما علمتِ بزائري      لك ذي وفاءٍ مُخلص وودادٍ  
أبكى العلى والمجد فقد كما الذي      لبست له الدنيا ثيابَ حدادٍ  
لهفي على تلك السجايا إنها      زهرُ الربا موشيةً الأبرادِ

من الطبيعي أن يكونَ رثاءُ الشاعر لوالدتهِ أصدقَ رثاءٍ ذلك لأنه يتفجر عن  
معاناة حقيقية فيعكس صورتها، ولكن عزَّ على إدريس بن اليماني المتوفي (٤٧٠هـ)  
أن يرثي والدتهُ بألفاظٍ تخرُجُ من مكانِ دخولِ الطعامِ لكونها أرفعُ من أن تُرثى  
بكلمات كهذه يقول<sup>(١)</sup>: [الوافر]

وأمتي إلى الأحداثِ أم      يعزُّ علي أن صارت أمامي  
وأكبر أن يرثيها لساني      بلفظٍ سالك طُرقِ الطعامِ  
ومن لي أن أصوغَ الشهبَ شعراً      فألبسَ قبرها سِمطِي نظامِ

وجسدَ الشاعرِ صدقَ العاطفةِ التي تربطُ الإبنَ بوالدتهِ والحاجةُ الدائمةُ لها،  
لقد شعرَ بفقدِ تلك الأمِ الرؤومِ كأنه طفلٌ رضيعٌ في حينِ هَرَمٍ وطالت أيامُ عمره  
[الوافر]<sup>(٢)</sup>

مضت وقد اكتهلتُ فخلتُ أني      رضيعٌ ما بلغتُ مدى الفطامِ  
فيا ركبَ المنونِ أما رسول      يبلغُ روحها أراجَ السلامِ  
ذكياً يسحبُ الكافورُ منه      بمثلِ المسكِ مفضوضِ الختامِ

(١) الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

ويبدو أن أختها توفي قبلها فرثته أبيات شعرية ارتقت بها إلى مستوى

الشواعر الكبار، وجاء شعرها من السهل الممتع: [الوافر]

اشاعت قَبْلَها وبَكَتْ أختها      فأضحتْ وهي خنساء الحِمام  
شَجَبَتْكَ بظَاهِرِ كَقَرِيضِ لَيْلي      وباطنه عَوِيصُ أَبِي حِزَامِ<sup>(١)</sup>

ومن الأمهات من تميزت بالخصال الحميدة الفاضلة وفاقت الرجال بتلك

الشمائل، تظهر هذه الأم عالية الأخلاق عند الشاعر التطيلي المتوفي (٥٢٥هـ) بقول

: [البسيط]

يا قَبْرَ أُمِّ عَلِيٍّ هل عَلِمْتُ بها      إِنَّ السِّيادَةَ بَيْنَ الشَّرْبِ والمَدْرِ  
أنتى ولكن إذا عَدُوا فضايلها      لم يَدْعُ الفضلُ من أنتى ولا ذَكَرِ

ويستمر بوصف مآثرها، فهي حافظة ومعلمة للقرآن، مبتعدة عن الظلم

والجور صوامة قوامة، تقيّة ورعة، ولا ندري قد يكون لمثل هذه الأم الفاضلة

مثيلات<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

تتلو الكتابَ وتتلو من مآثرها      أيا كأي، ولم تظلم ولم تحر  
قوامة الليل تتلوهُ وتقتنه      على اختلافه من طول ومن قصر  
حتى إذا الصبح جلى ليلاً فزعت      إلى صيام بمرضاة الإله حري

ومثله قوله في أخرى<sup>(٣)</sup>: [الوافر]

(١) ليلي الاخيلية وأبو حزام العكلي، اتصف بشعره العويص.

(٢) ديوان الأعمى التطيلي : ص ٦٩ تحقيق الدكتور -احسان عباس- طبعة بيروت- ١٩٦٣.

\* أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، وله كنيستان تردان في المصادر وهما أبو جعفر وأبو العباس، كان ضريباً ولذلك شهر بالأعمى، وهناك تطيلي أعمى آخر يعرف بأبي اسحاق إبراهيم بن محمد. بعد عصر أبي جعفر التطيلي، له ديوان شعر مطبوع أقام في اشبيلية ومات معتبطاً

(٣) ديوان التطيلي : ص ١٩.

أهْلِي بِالْبِكَاءِ وَبِالنَّحِيبِ      قَد نَزَحَ الْمُحِبُّ عَنِ الْحَيْبِ  
 وَقد وَسِعَ الحِوَادِثُ يَومَ رِزْءِ      تَضَيَّقَ لَهَا الصَّدُورُ مِنَ القُلُوبِ  
 وَأَذْنَتِ المِكارِمُ وَالمِعالِي      بِخُطْبِ عاتِ حَتَّى فِي الخُطُوبِ

وتبدو هذه الأمّ العفيفة الحافظة نَفْسَها عن كُلِّ دَنَسٍ خالِيَةٍ مِنَ العُيُوبِ الظاهِرَةِ ،  
 تَتَمي إلى نَسَبِ عالٍ شَرِيفٍ يَشْهَدُ لَه بِالعِزَّةِ وَالنَّفِعمَةِ وَالعِلا وَكانَ قَدَها كارِثَةٌ  
 فَجَعَتْ بِه قُلُوبُ الشُّبانِ وَالكَهَلَةِ ، يَقولُ <sup>(١)</sup> : [الوافر]

أيا لَهفَ العِلاءِ عَلى حِصانِ <sup>(٢)</sup>      مُبرَّاةِ العِيونِ مِنَ العُيوبِ  
 رِيبَةٌ عِزَّةٍ قَعِساءِ نايِبتِ      مَنابُ الشَّمسِ إِلا فِي الغُروبِ  
 وَلم أَر مِثْلَ مَنعِها مُصاباً      هفا بِقَلبِ شُبانٍ وَشِيبِ

وَقد نَعاها أبنائُها بِدموعِ مِهرِاقَةٍ سَكُوبِ <sup>(٣)</sup> : [الوافر]

أَقولُ وَقد نَعاها نَعاها      وَأشيلُها بِمَنهَلِ سَكُوبِ  
 أَلَم يَرِبِ الرِدى تَضَيِّعُ سِرًّا      تَبَلَدَ فِيه أُوهاهُمُ الغُيوبِ

لقد ظهرت في مراثي الأمهات نماذج من الخيرات اللائي احتضنهنّ المجتمع  
 الأندلسي، فمنهن العفيفة النزيهة والتقية الورعة والشاعرة المتمكنة والمعلمة الفاضلة  
 يقول التطيلي <sup>(٤)</sup> : [الوافر]

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) حصان : امرأة حصان، بفتح الحاء: عفيفة بيّنة الحصانة والحصن ومتزوجة أيضاً من نسوة  
 حصن . فهي حصان إذا عفت عن الرّيبة . أنظر لسان العرب: ص ١١٩ - ١٢٠ (مادة  
 حصن) م الثالث عشر. ط. بيروت - ١٩٥٦.

(٣) ديوان التطيلي : ص ٢٣٢.

أشيلها : أبنائها، منهل سكبوب يعني الدمع.

(٤) ديوان التطيلي : ص ٢٣٢.

ووأسفاً على غفلات عيش      تَخَوَّنَ عَهْدَهَا النَزْمَنَ الْخَوُونُ  
 أصبتُ بملءِ بُرْدِيهَا عَقَافاً      وعند مُصَابِهَا الْخَبِرُ الْيَقِينُ  
 بقائمةِ الدُّجَى جَنَحاً فُجْحاً      إذا ازدحمتْ عليّ النُّومِ الْجَفُونُ  
 وصائمةِ الْهَجِيرِ إذا تَوَارَى      خِلَالَ الطُّحْلَبِ الْمَاءِ الْمَعِينُ

وربما أشار الشاعرُ إلى أن هذه الأم المؤمن من النساء المبشرات بالجنة. فقد جاء في قوله تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" (١) ... يقول التطيلي (٢): [الوافر]

وَبَشِّرَتِ الْجِنَانِ وَسَاكِنُهَا      وَأَوْحَشَتِ الشَّهْوَةَ وَالْحَزُونَ

وظهرت والدة الحكيم ابن ربي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني المتوفي (٥٢٩هـ) خليفة صادقة وفتية لابنها بعقدتها رزء رزءاً عظيماً يقول (٣): [الطويل]

أخـلاء صدقٍ بَدَدَ الدهرُ شَمَلَهُمْ      فعاد سحيلاً (٤) منهم كل مبرم  
 رَزَّيْتُ بِأَحْفَى النَّاسِ بِي وَأَبْرَهُمْ      وأكبرُ بفقْدِ الأمِ رَزءاً وأعظم

(١) القرآن الكريم : سورة النساء : الآية ١٢٢.

(٢) الديوان : ص ٢٣٢.

(٣) ديوان الحكيم أبي الصلت: ص ١٤٢- ١٤٣. تحقيق محمد المرزوقي ط. أندلسية سنة ١٩٧٤.

(٤) السحيل : الخيط غير مبرم

أبن الصلت أمية: كان يكنى بالأديب الحكيم. ولد بدانية سنة ٤٦٠هـ وقضى في اشبيلية ودانية مدة شبابه. وله كتاب الحديقة على اسلوب يتيمة الدهر. وأخذ عن فطاحل عصره إذا كانت الأندلس كعبة العلم والعلماء. غادر الأندلس إلى مصر، توفي ٥٢٩هـ، واختلف في وفاته قيل ٥٢٠. أنظر الخريدة: ج ١ ص ١٨٩ تحقيق محمد العروسي الجيلاني - السدار التونسية - ١٩٦٦. نفح الطيب : ج ٢ م ٢ ص ٣٠٨.

ومن الصور التي وردت في الشعر صورة الأمّ التكلّي المضرمة الصدر التي لا تجدمن يواسيها في بلواها سوى الإيمان بالله والتصبر بالتقوى: وقد أشار المعتمد في رثاءِ إبنه المأمون والراضي بعد خلعهِ قائلاً<sup>(١)</sup>: [الطويل]

معي الأخواتُ الهالعاتُ عليكما      وأمكما التكلّي المضرمةُ الصّدرِ  
تُبكي بدمعٍ ليسَ للغيبِ مثلهُ      وتزجرُها التقوى فتصغي إلى الزجرِ  
تذللها الذكرى فتفرغُ للبكا      وتصبر في الأحيان شحاً على الأجرِ

### المديح:-

أمّا في مجال المديح فقد نالت الأم نصيباً منه بذكر المحاسن والخصال الحميدة الفاضلة .. وقد اتى ابن عباد على أم مالك حين قال<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

سقى أثلاثَ الجزع من أم مالك      عشارُ سحابٍ مترعات حوافلِ

وربما كان الدافع إلى مدح ولد المنصور بن أبي عامر كون أمّه تميمية إسمها فريهة بنت يحيى، فقد حاز على الشرف من طرفيه. وأشار ابن دراج القسطلي إلى ذلك قائلاً<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

تلاقت عليه من تميم ويعرب      شمسُ تلالا في العلى وبدورِ  
من الحميريين الذين أكفهم      سحائبُ تهمي بالندى وبحورِ(\*)

وقد مدح الحرّة حواء قائلاً<sup>(٤)</sup>: [البيسط]

(١) ابن الأبار : الحلة السبراء : ج٢ ص ٦١. ط. الأولى ١٩٦٣. تحقيق حسين مؤنس.  
(٢) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٠٢. وانظر نفع الطيب : ج٢ ص ٨٤.  
(٣) الديوان : ص ٣٠١ ط. الأولى - ١٩٦١م تحقيق محمود علي مكّي - منشورات المكتب الإسلامي بدمشق. وانظر ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار ملوط الأندلس والمغرب: ج٣ ص ٢٧٤. تحقيق . أ. ليفي بروفنسال.  
\* القسطلي : أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج، كنيته أبو عمر. تردد علي مجالس الشيوخ وحلقاتهم وحفظ القرآن ولم بمبادئ النحو واللغة والأدب والأنساب والفقّه وأنشد للمنصور بن أبي عامر. انظر ديوانه : ص ١٩ - ٤٠.  
(٤) ديوان الأعمى التطيلي : ص ١٨.

هم أورثوك العلا واستخفوك على آياتها، وحذا الأعقاب والعقب  
أهللت بالحرّة الغنبا إلى أمل لملته كانت الأشعار تتخب

وحواء هذه مثال للخير... لا بل هي أفضل من كل من دبّ على البسيطة يقول<sup>(١)</sup>:-

حواء يا خير من يسعى على قدم ولست عبدك إن لم أفضى ما يجب

ويستمر في مدحها مفتخراً بها ذاكراً برها الذي عمّ سكان الأرض جميعاً

قائلاً<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

إليك أهديت مما حاكه خلدي فخراً يجذ، وتبلى هذه الحقب  
قدعم برّك اهل الأرض قاطبة فكيف أخرج عنه جارك الجنب

وتطالعنا ظاهرة النسبة إلى الأمهات والتسمية بهن مما يدل على اعتزاز  
وإحترام الأبناء لهنّ، على سبيل المثال ثار رجل من البربر وكانت أمه تسمى  
"فاطمة" فأدعى إنه فاطمي<sup>(٣)</sup>. ومن الرجال الذين تسموا بأسماء أمهاتهم ابن مريم<sup>(٤)</sup>.  
وابن القابلة السبتي<sup>(٥)</sup> (\*) ومن الشعراء الذين نسيبوا إلي أمهاتهم الشاعر المعروف  
بابن اللبانة المتوفي (٥٠٧هـ)<sup>(٦)</sup> وهو محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي  
الأندلسي الذي أشتهر باسم أبي بكر عيسى بن محمد الداني، ولقب اللبانة إسمه من

(١) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج٢ ص٥٤. تحقيق ومراجعة ج. س كولان وأ. ليفي  
بروفنسال - دار الثقافة - بيروت - لبنان.

(٤) المصدر نفسه: ج٣ ق٢ ص٢٠٢.

(٥) الذخيرة: م١ ق٤ ص٣٨٠.

\* عبد الله ابن القابلة السبتي، ولا بد أن نفرق بينه وبين ابن قابلة آخر ليس سبتياً وهو محمد بن  
يحيى الشلطي. انظر الذخيرة: م١ ق٤ ص٣٨٠. وانظر المغرب: ج١ ص٣٥٢.

(٦) ابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات: ج٢ ص٢٦٠. ط بولاق.

والدته التي كانت تبيع اللبن لتعيل أطفالها. ومثله ابن الغاسلة. وغيرهم من الذين انتسبوا إلى أمهاتهم.

### المواساة :-

وقد يجد الشاعرُ أمةً ملاذاً للرجوع إليها في فترات الضيق والخرج فينتوجه بكلمة كريمة لها ... تلك الأمّ المقرحة الجفنين الساهرة العينين، فيصبرها على بلواها قائلاً لها لست أول حرة طوت المنايا على مرارة النكل، مواسياً لها في أن تعتبر بأم موسى العظيمة التي دفعت بقلدة كبدها إلى اليم، قد تكون طريقة من طرق المواساة التي لم نألفها من قبل، وأن كانت آلام النكل لا تقتصر على الأندلسيين وحدهم، يقول ابن زيدون<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أَمَقْتَوْلَةَ الأَجْفَانِ مالِكٍ وَهِيَا      أَلَمْ تُرِكِ الأَيَّامُ نَجْماً هَوَى قَبْلِي  
أَقْلِي بِكَاءٍ لَسْتُ أَوَّلَ حَرَّةٍ      طَوْتُ بِالْأَسَى كَشْحاً عَلَى فَضْضِ النُّكْلِ  
وَفِي أَمِّ مُوسَى عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ      إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِرِي وَأَسْلِي

شتم الأبناء عن طريق أمهاتهم: -

ومما يلاحظ أن الأم تشارك ابنها في شرفها وضعتها شاء أم أبي يرتفع برفعتها ويتضع بضعتها، ولكن الأم ترتفع مكانتها الإجتماعية إذا أنجبت ولداً، على الأخص إذا كانت سرية، فيحتفظ بها سيدها فلا تباع ولا تشتري وتسمى (أم ولد)<sup>(٢)</sup>، وسنتكلم عن إمهات الأولاد بصورة أوفى في مبحث الجوارى.

(١) أنظر ديوان ابن زيدون: ص ٦٦. تحقيق نديم مرعشلي.

(٢) يقول الأصمعي (كانت بنو أمية لا تباع لبنى أمهات الأولاد فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم، ولم يكن لذلك، ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يداين أم ولد). أنظر العقد الفريد - المرجانة الثانية في النساء: ج ٦ ص ١٠٣١، ط ٣ - لسنة ١٩٦٦ تحقيق إبراهيم الإبياري.

وقد تعرّضَ الشاعرُ المعتمدُ بن عباد المتوفى (٤٨٨هـ) لشمسِ والدة الشاعر ابن عمار زارياً عليها ذاكراً قصرها المنيف، وحياتها الباذخة، كل ذلك بتهكم لاذع وسخرية مرّة قائلاً<sup>(١)</sup>: [الكامل]

يا شمسَ ذلك القصرِ، كيف تخلّصت  
فيه إليك طوارقُ الأقدار  
تلك شعوبُ الموت حتى جاوزت  
غلبَ الرقابِ وساقى الأسوار

ومما جاء في هجاء الأمهات قول العبادي<sup>(٢)</sup>(\*): [الوافر]

سألت وعند أمك من ختاني  
بيان كان يشفى من سؤالي

ومما هجابه الشاعر ابن شهيد المتوفى (٤٢٦هـ) صورة العجوز الغانية، التي تجسدت صورتها في قرطبة بلد الشاعر يقول<sup>(٣)</sup>: [المتقارب]

عجوز (\*) لعمَرَ الصَّبَا فانية  
لها في الحشا صورةُ الغانية  
زنت بالرجال على سنّها  
فيا حبّذا هي من زانية  
تردّيتُ من حزن عيشي بها  
غراماً فيا طول أجزانية

ومن المظاهر الاجتماعية الظاهرة في المجتمع الأندلسي - إحترام الأم وسماع شكواها عند الحكام، والتشدد في عقاب من يعقها. ففي عهد باديس بن حبوس. (وقفت له يوماً عجوزٌ فشكت عقوق ابنها، وأنه مدّ يده إلى ضربها، فأحضرت وأمر بضرب

(١) ابن الأبار : الحلة السبراء: ج٢ ص١٥٧، ط١ سنة ١٩٦٣ تحقيق د. حسين مؤنس . وانظر د. صلاح خالص: محمد ابن عمار الأشبيلي: ص١٢٧ ط. دار المعارف.

(٢) المغرب : ج٢ ص١٢٣.

\* العبادي : المعتضد بالله (العبادي) ابنه أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد تلقب بالمعتضد، اختلف في سبب وفاته (ت٤٦٣هـ) أنظر عبدالواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص٩٥ ط. الأولى الاستقامة - القاهرة ١٩٤٩.

(٣) ديوان ابن شهيد الأندلسي: ص١٦٨ جمع وتحقيق يعقوب زكي، مراجعة د. محمود علي مكي ط. دار الكتاب، القاهرة. وانظر الذخيرة: م١ ق١ ص١٠٨.

\* قد يراد بالعجوز الدنيا

عُنقه ، فقالت له يا مولاي ما أردتُ إلاّ ضربه بالسوطِ وأدبه فقبال : لست بمعلم صبيان، وضرب عنقه<sup>(١)</sup>.

وللوالدة حقوق على الإبن فلو حملها وطافَ بها بيت الله الحرام لم يجزها<sup>(٢)</sup>.  
ولقد وجدنا الأمّ نعم المريّة، حيث جمعت كما يقال خصال الدين والدنيا وربما كان لها صور أخرى لم نعثر عليها لضياح شعر تلك الفترة، كصورة زوجة الأب، أو زواج الأم الحرة.

---

(١) المغرب: جـ ٢ ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس: ص ٧٥٧. تحقيق محمد مرسي الخولي.  
مراجعة د. عبد القادر القط. ط ١. دار الكتاب العربي.

المبحث الثاني

صورة الأخت

obeikandi.com

يَهتت صورة الأخت في الشعر الأندلسي في الحقبة المدروسة، وقد لا ندرك أسبابها. وربما تعود لأسباب نفسية ترجع إلى الشاعر نفسه.

ومتلما بهتت الأشعار فيها خفيت أخبارها ونستغرب للأمر، لكون المرأة أصبحت قاضية حين (قعدت للمظالم) كـ (ثمل القهرمانه) <sup>(١)</sup> وحضر مجلسها القضاة والفقهاء أيام المقتدر، ومنهن من كانت أختاً لخليفتين كـ (أسماء بنت هشام) أخت، المهدي (\*) والمستظهر (\*\*)(٢).

وقد إتسمت الأخت الأندلسية بالبطولة والشجاعة، تنتقم لتأخذ بثأر أخيها، فقد بويح (الحسن بن يحيى الملقب بالمستنصر) سنة (٤٣١هـ) وعهد بتدبير الأمور إلى الوزير أبي جعفر بن بقنة فأمر بقتل يحيى القاسم فقتل في ربيع الثاني عام (٤٣٤هـ)، وكانت أخته زوجة للمستنصر، فما لبثت أن قتلت مسموماً إنتقاماً لأخيها وقد هلك في السنة نفسها.

وتبقى رابطة الأخوة أعمق وأسمى الروابط الإنسانية تمثلت في صورة الأخت المقتولة <sup>(٣)</sup> إنتقاماً من أخيها ذلك في عهد باديس بن حبوس <sup>(\*\*\*)</sup> سنة (٤٥٨هـ) <sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر نقط العروس : ص ٧٤.

\* المهدي : هو آخر خلفاء من ولي الأمر من بني مروان بالأندلس ولاية تامة. يعزل فيها ويولي من آخر شرقها إلى اخر غربها. انظر ابن حزم جمهرة انساب العرب: ص ١٠١ تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف مصر، ١٩٦٢.

\*\* المعنظهر: عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر. ان أديباً شاعراً قتل وله إثنان وعشرون سنة. انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٠-٧١.

(٣) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

\*\*\* باديس بن حبوس: انظر الإعلام : ج ٢ ص ٤٠ وهو باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي. أبو مناد، الملقب بالمظفر، صاحب غرناطة ملك من ملوك الطوائف بالأندلس. بويح بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. توفي ٤٦٥هـ. أعمال الإعلام: ص ٢٣٣.

(٤) البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٧٣ تحقيق !. ليفي بروقنسال - دار الثقافة بيروت، ١٩٢٩.

ونجد الأخ يحمل هم إخوانه الأبيكار، نتيجة الظروف والتطاحن السياسي وتقلبات ظروف الزمان. هذا ما سجله الأمير عبد الله بن زيري<sup>(١)</sup> المتوفي (٤٨٣هـ) في مسألة زواج أختيه الأميرتين، حين قال: (رأينا من الصلاح، النظر لمن معنا من البنات وتزويجهن قبل أن يفجأ أمر، فيكن على غير عصمة ولا كفيل فتخيرنا لهما من بني عمهما شاكلة، منهم معد بن يعلى، للذي كان عليه من النجاية والعقل والمحبة). إلى أن يقول الأمير (فعدت لهما النكاح على أتم ما يمكن واستعددت في سائر أمري بالأحزم، ووكلت ذلك إلى الأقدار، وقلت: (هذا جهد الاستطاعة ودون جهدك لا تلام. والله أن يقضي بما شاء!)<sup>(٢)</sup>.

كنا نأمل أن نعثر على أجمل الأشعار، نظمها الشعراء في أخواتهم لما رأينا ما للمرأة من المكانة المتميزة في مجتمها وعلى صعيد أسرتها وعائلتها. بعد أن عرفنا إن الفيلسوف الشهير (دينان) - ما مجصلة، (إن أجمل ما وضعه في مؤلفاته كان إلهاماً من أخته)<sup>(٣)</sup>.

ولا نجد صورة للأخت في الأشعار إلا صورة للأخت المرثية ولعلها أخت عبد الرحمن بن محمد المتلقب بالمرتضى<sup>(٤)</sup> قائد الحزب الأموي. قال الفتح بن خاقان: (وكان المرتضى هو الذي أورت ناصر الدولة الملك، إلى أن ماتت أخته فاحتفل في جنازتها إحتفالاً شكري في فعله ومشى إلى لحدها وما ركب إلا نعله وندب

(١) انظر مذكرات الأمير عبد الله بن زيري: ص ١٣٩ - نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال - ١٩٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٤٠ - ١٤١.

(٣) قاسم أمين: تحرير المرأة: ص ٦٦ مطبعة المعارف - مصر ١٩٦٦.

(٤) المرتضى هو أخ هشام بن محمد الناصري الذي يبيع بقرطبة سنة عشرين وأربعمئة. انظر جمهرة انساب العرب: ص ١٠١ والذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٥١٥.

الشعراء إلى رثائها وتأييدها، وإيضاح فضائلها وتبنيها، فقام أبو بكر (١) الداني على قبرها وقال: [الطويل]

أبنت الهدى جذت منعى على منعى  
مضى المرتضى اصلاً واتبعته فرعا  
جرى الموت جري الرياح في منبتكما  
فأذواك ريحناً وكسرة نبعاً  
على نسق جاء المصاب وإنما  
تقدّم وتراً وأتبعته شفا  
وقد جسد فضائلها قائلاً (٢): [الطويل]  
لئن وقفت شمس النهار ليوشع  
فقد وقفت شمس الهدى لي والشهب  
عقيلة بيت المجد لم ترها الدجى  
ولا أمحتها الشمس وهي لها تراب  
ولا نكاد نجد غير هاتين المقطوعتين.

(١) قلاند العقيان: ص ٢٨٥ قدم له محمد العنابي، طبعة مصورة عن باريس ١٩٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٨٥.

obeykandi.com

المبحث الثالث  
صورة الزوجة

## موقف الإسلام من الزواج والزوجة

لم يكن للزوجة شأنٌ يُذكر في الأمم السابقة فَعَدَّها اليونان رجساً من الشيطان ولاحقاً<sup>(١)</sup> لها في الميراث لكونها أنثى ولأن هذا الحق خاص بالرجال. وكذا حالها لدى الرومان والهنود، فحقوقها وما يتعلق بها بيد زوجها حتى إن الهنود كانوا يحرقونها إذا مات زوجها ويدفونها معه. ولا زال بعض الهنود يحرقون الزوجات إن أردن ذلك - وإلاّ فهن يعشن منبوذات بائسات. وقد صدر ردع بذلك مؤخراً، عساه يطبق لأن هذا مناف للروح الإنسانية!!.

لقد كرم الإسلام الزوجة ورفع من شأنها وميّز مركزها وقرنها بالرجل في معظم الآيات القرآنية، يقول جلّ شأنه "يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفّسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً."<sup>(٢)</sup> الخ . وقوله تعالى "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا"<sup>(٣)</sup> ... فالمرأة والرجل كلاهما من معدن واحد وهما متساويان في المنشأ فلا ينبغي أن يتباينا. وحظيت بحقوقها كاملة ومن جملتها حق الأثر فسمح لها أن ترث أبويها أو زوجها أو أبنائها وغيرهم، وهكذا يضمن الإسلام للمرأة حقوقها ويكرمها مثلها مثل الرجل ولا نقول تماماً ذلك (لأن الله فضّل الرجال على النساء، على سبيل المثال فضلهم في الشهادة والزواج بأربع، وزيادة النصيب في الميراث، وأمر الطلاق، والرجعة والانتساب)،<sup>(٤)</sup> (لما ظهر الإسلام وضع أحكاماً للزواج والطلاق وتعدد الزوجات)<sup>(٥)</sup> بنظرة قائمة على الرّحمة

(١) انظر د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون: ص ١٨ ط. الثانية مطبعة الأصيل - حلب - ١٩٦٢.

(٢) القرآن الكريم: سورة النساء : الآية رقم ١.

(٣) سورة الأعراف: الآية رقم ١٨٩. وانظر محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط. دار مطابع الشعب سنة ١٩٤٥.

(٤) انظر صلاح الدين الناهي: الأسرة والمرأة : ص ١٥. ط. بغداد ١٩٥٨.

(٥) أنظر محمد جميل بيهم : المرأة في حضارة العرب : ص ٣٥ ط - ١٩٦٢.

والمودة إلفة بين روحين، وأنسا يسكن إليه الزوجات فهذه النظرات حفظت للزوجة كرامتها وجعلتها مهابة الجانب، مقابل ذلك واجبات معينة تؤديها تجاه زوجها. إن الرجل والمرأة يؤلفان شطري الإنسانية<sup>(١)</sup> يكملان الواحد الآخر ولكن أعد كل منهما لمهام معينة وهذا وجه إختلافهما<sup>(٢)</sup>. والإزدواج البشري الذي دعت إليه الفطرة وحث عليه الدين يستحب تهنئة الزوجين والدعاء لهما بالخير<sup>(٣)</sup>.

ولقد سمح الإسلام بتزوج المسلم بالكتابية وبالأمّة.

قال سبحانه وتعالى في التزويج بالمحصنات من المؤمنات ومن الكتابيات، "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ"<sup>(٤)</sup>

وقال في تزويج الإماء "فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَنْ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بالمعروف"<sup>(٥)</sup>.

وعليه فقد وجدنا الرجل العربي المسلم يرتبط بالمرأة الأندلسية سواء أكانت نصرانية كتابية، حرة أم أمّة، ارتباطاً وثيقاً عن طريق الزواج.

نقل لنا أحد المؤرخين الأندلسيين ، في مجموعة نصوص أدبية لم يتيسر لها الطبع نص عقد زواج تشترط فيه الزوجة على الزوج أن لا يتزوج امرأة أخرى ولا يتسرى بجارية، ويكون بيدها حق الطلاق متى شاءت<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق نفسه: ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) محمد جميل بيهم: فتاة الشرق في حضارة الغرب: ص ٢٦ طبعة - ١٩٥٢.

(٣) انظر علي حسب الله: الزواج في الشريعة الإسلامية: ص ٣٣ - ٣٤ ط الأولى - ١٩٧١.

(٤) سورة المائدة : الآية رقم ٥.

(٥) سورة النساء : الآية رقم ٢٥.

(٦) د. صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري: ص ٩٦ عن مخطوط الأسكوريال رقم

٤٨٨. مطبعة سميا - بيروت ١٩٦٥.

ربما يدل هذا النوع من المكاتبات والشروط على وعي المرأة وشعورها  
بمكانتها في كونها كفوًا للرجل، وانتزاعها لحقوقها إنتزاعاً، وإن كان فيه بعض  
المغالاة وتجاوز على الشريعة.

ويرى أحد الباحثين، (إن الزوجة همها انتزاع حب زوجها وإعجابه ليزداد  
تعلقه بها بمختلف الوسائل ، ولكن المجتمع بتقاليده وعادته ونظمه لا يسمح لها  
بتحقيق هدفها هذا بسهولة ولا يجعل مهمتها يسيرة فمن حق الرجل الذي يكلفه العرف  
والقانون أن يُحب نساءً أخريات لأنه يستطيع إذا توافرت له الإمكانية المادية أن  
يتزوج بأربع نساء وأن يشتري من الجواري العدد الذي يرغب فيه)<sup>(١)</sup>.

على أن نظام تعدد الزوجات مألوف عند العرب وكان اسلافنا يمارسونه قبل  
الإسلام وظلوا يمارسونه على وفق التشريع بد ظهوره، وازداد شيوعاً بعد دخول  
العرب الفاتحين إلى الأندلس<sup>(٢)</sup>. علاوة على احترام المرأة والرفق بالضعفاء (كل هذه  
الخصال النبيلة انطلقت من الأندلس وإسبانيا العربية واكتسحت أوروبا ثم انطلقت مرة  
أخرى مع الثقافة الإسلامية من الشرق الأدنى بالحروب الصليبية، فأصبح العالم، على  
اختلاف لغاته، وكأنه عربي ليتمخض بمولود جديد؛ هو التمدن الحديث)<sup>(٣)</sup>. وربما  
كان لا يتم عقد الزواج في الأندلس إلا بعد موافقة أهل الفتاة حتى ولو كانت سبية.  
وقد يكون قول بئينة بنت المعتمد بن عباد لابن أحد تجار إشبيلية لما أراد الدخول  
عليها امتنعت وقالت: (لا أحلُّ لك إلا بعقد النكاح أن رضى أبي بذلك)<sup>(٤)</sup> ووجهت  
كتاباً لأبيها وأنتظرت جوابه ومما جاء فيه قولها<sup>(٥)</sup>: [الكامل]

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٩٣

(٢) محمد سلام زنائي: تعدد الزوجات لدى الشعوب الإفريقية : ص ٦٢-٦٣. مطبعة دار  
المعارف بمصر. ط ١٩٦٣.

(٣) فتاة الشرق في حضارة الغرب: ص ٩٧.

(٤) نفح الطيب : ج ٢ ص ٢٠.

(٥) المصدر نفسه : ج ٦ ص ٢١.

وأرادني لنكاح نجلٍ طاهرٍ      حسن الخلاق من بني الانجاد  
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا      ولأنت تنظر في طريق رشادي

### التكافؤ بين الزوجين:-

ويقصد بالتكافؤ أو الكفاءة أن يكون الزوجان كلٌّ منهما مناسباً للآخر سواء من حيث الظروف المادية أو من حيث الظروف الإعتيادية وحالات عدم التكافؤ التي تناولتها الشريعة الإسلامية متعددة ويمكن حصر الحالات التي تناولها الفقهاء لا على خلاف بينهم من حيث إستبعاد بعضها الآخر<sup>(١)</sup>.

ولاحظ العرب الكفاءة في الزواج إذا كان زواج المرأة من غير الكفاء أمراً يمسّ الشرف<sup>(٢)</sup>. حيث قال ابن عبد ربه: (إذا لم تجد المرأة كفتاً فخير زوج لها القبر)<sup>(٣)</sup>. وتبدو مسألة الزوج الكفو شغلت الأندلسيين أيضاً. فقد وجدنا بثينة تستشير والدها: إن كان هذا الخطيب مناسباً لها أم لا. قائلة<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

فعساك يا أبتى تعرفني به      إن كان ممن يُرتجى لوداد

وينقل لنا ابن الجوزي رايه في إختيار الزوج باجتماع اللذات الحسيّة والعقليّة (فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية)<sup>(٥)</sup>

أما ميل القلب فيلعب دوراً في النكاح ، وقد كان هذا الميل والإعجاب سبباً مباشراً في كثير من الزيجات، من ذلك إقتران الرميكية من المعتمد بن عباد بعد أن أعجب بسرعة بديهتها وحسن ذكائها وجمالها فسألها - أذات زوج؟ قالت: لا

(١) أنظر أطروحة عربية توفيق: المرأة في الشعر العراقي الحديث: ص ١٥٠ ١٩٨٣.

(٢) علي الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي: ص ١٦٦.

(٣) العقد الفريد: ج ٣ ص ٢٢٤.

(٤) نفع الطيب : ج ٦ ص ٢١.

(٥) ابن الجوزي : صيد الخاطر: ج ٢ ص ٢٤٦، مطابع دار الفكر - ١٩٦٠.

فتزوجها<sup>(١)</sup>\*)، بعد أن اعتقد أن هذه المرأة هي الزوجة المناسبة له لشاعريتها ولجمالها ... وكان من تأثير هذا الحب بينهما أن إحتلت هذه المرأة مكاناً كبيراً في قلب زوجها وأثرت في نفسه أعق التآثير وتَحَمَلَتْ معه عذاب النفس وشقاء الفقر وبؤس الفاقة والحرمان<sup>(٢)</sup>. وكانت نعم الزوجة، وقد قيل (المرأة الصالحة كمثل النّاج على رأس الملك والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير)<sup>(٣)</sup>. وينقل لنا القرطبي قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ"<sup>(٤)</sup>.

وكثيراً ما وقف الآباء موقف الحيرة في اختيار الرجل المناسب لبناتهم ونقل لنا المقرئ المتوفى (٤١ : ١هـ) صورة ذلك الأب قائلاً:-

(يا بُنَيَّةُ ، اني أصبحتُ على حيرةٍ من أمرِك مما يخطُبِكِ من الملوكِ وما أَرْضَيْتُ واحداً إلا سخطتِ الباقيين، فقالت له: إجعل الأمر إلي تخلص، فقال: وما تقترحين؟ فقالت: أن يكون ملكاً حكيماً ، فقال: نعم ما اخترته لنفسك)<sup>(٥)</sup>.

وقيل: (إنَّ من خُطَبَ بناتِ النَّصْرِ بالسَّعدِ زَوْجٍ ومن ألقَحَ الرَّأيَ بالعزمِ أنتج)<sup>(٦)</sup>.. وينقل لنا أبو الفضل بن شرف الكاتب الناثر صورة امتناع الفتاة البكر عن الزواج لحين توافر العدل ولا ترتبط إلا بما يليقُ بها، قائلاً<sup>(٧)</sup>: [الكامل]

(١) ديوان المعتمد بن عباد : ص ٧٤. تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد -المطبعة الأميرية بالقاهرة-١٩٥١.

• كانت حفلات الزواج والأعراس مضرِباً للأمثال في البذخ والأبهة والجلال سنة ٤٧٧هـ. وعندما زوج أبو بكر بن عبد العزيز حاكم بنسبية ابنته إلى المستعين بالله أحمد بن يوسف بن المقتدر حاكم سرقرطة دعا إلى الاحتفال كبار الكتاب والوزراء. انظر العماد الإصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر: ج٤ هامش ص ٣٢٧. دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

(٢) د. صلاح خالص: المعتمد بن عباد الاشبيلي : ص ٧١.

(٣) صيد الخاطر: ج٢ ص ٤٧٧.

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس: ج٢ ص ٣٠ دار الكتاب العربي.

(٥) نفع الطيب : ج١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٦) الذخيرة : م ٢ ق ١ ص ٧٤٧.

(٧) الفتح بن خاقان: فلاندين العيان: ص ٢٧١ مطبعة التقدم العلمية - مصر ١٩٦٤.

ومنعته من ليس من أزواجها  
أعيا على النصح طول لجاجها

بكرُ بخلتُ على الأنام بوجهها  
فالنفس إن ثبتت على أخلاقها

رثاء شريكة الحياة:-

تكادُ صورة الزوجة تتضح في شعر الرثاء فتظهر فيه مفاهيم وقيم ومثل حاولت أن تحرص عليها وتصونها كالأنسجام والتآلف الروحي وحسن المعاشرة وطيبها وطهارة العرض، وأصالة العرق. ولعل الشاعر الألبيري المتوفى (٤٦٠هـ) جسّد لنا كل ذلك في زوجته قائلاً<sup>(١)</sup>: [الكامل]

عَجَّ بالمطّي عليّ اليباب الغامر  
فلكم تضمّن من تقى وتعفّف  
وأربع على قبرٍ تضمّن ناظري  
وكريم أعراقٍ وعرضٍ طاهرٍ  
لهفي عليه من أبرّ معاشرٍ  
عوضاً بها مرثيةً بنوادرٍ  
ما كان إلا ندره لا أرتجي

ولقد احتلت الزوجة مكانة مرموقة عظيمة في نفس زوجها، تمثّلت برابطة متينة سامية، وعلاقة محكمة الأواصر. وربما كان من أصدق الوفاء للزوجة والإخلاص الروحي لها قوله<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

إني لأستحييه وهو مغيبٌ  
أرعى أذمته وأحفظُ عهدَه  
في لحدّه فكأنه كالحاضرِ  
عندي فما يجرى سِواه بخاطري.  
فَهوأيّ فيه الدهر ليس بدائرٍ  
إن كان يُؤثرُ جسمه في رمسه

(١) ديوان الألبيري: ص ١٣٢ - ١٣٣. نشر غرسية غومس - ١٩٤٤ ط. مدريد - عن مخطوطة في مكتبة الأسكوريال. اشتهر بالألبيري: هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود التجبيّ الألبيري. شاعر مجيد شعره كله حكم ومواعظ ٤٦٠هـ.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٣٣.

بدت مثلاً للنزاهة ونهجاً للهداية، تلك الزوجة التي رثاها الأليبري التجبي

المتوفى (٤٦٠هـ) قائلاً<sup>(١)</sup>: [الكامل]

وإذا أردتُ نِزَاهَةً طَالَعْتُهَا      فَأَجُولُ مِنْهَا فِي أَنْيْقِ زَاهِرِ  
وَأُرَى بِهَا نَهْجَ الْهَدَايَةِ وَاضِحاً      يَنْجُو بِهِ مَنْ لَيْسَ عَنْهُ بِجَانِرِ

ولمكانة الزوجة المتميزة، تبدو الحيرة واضحة، والجزع الشديد، والفجوة

الواسعة التي تركتها لزوجها بعد رحيلها. يقول<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

قَدْ أَنْ لِي أَنْ أَسْتَفِيقَ وَأَرْعِي      لَوْ أَنِّي مِمَّنْ تَصَحَّ بِصَائِرِي  
فَلَمْ أَرَوْحُ وَأُعْتَبِدِي فِي غَمِرَةٍ      مَتَرَدِّدًا فِيهَا كَمَثَلِ الْحَائِرِ  
وَأُرَى شَبَابِي طَاعِنًا فِي عَسْكَرِ      عَنِّي وَشَيْبِي وَافِدًا بِعَسَاكِرِ  
فَعَدَدْتُ مَظْفَرَةَ عَلَيٍّ وَلَمَتَّزَلْ      قَدَمًا مَعَلَّةً قَدَاحِ الظَّافِرِ  
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِباً      جَرَّبَتْهَا بِمَوَارِدِي وَمَصَادِرِي

أما الشاعر التطيلي المتوفى (٥٢٥هـ) فقد رثى امرأته رثاء الزوج المخلص

الوفى، فتساءل؟ عما فعل الدهر وجار؟ فغير البلى بشاشة وجهها وطلاقته، فنراه تارة يبكي بدموع حرى وثانية يتصبر بالتجلد قائلاً<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

وَنَبِئْتُ ذَاكَ الْوَجْهَ غَيْرَهُ الْبَلَى      عَلَى قُرْبِ عَهْدِ بِالطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ  
بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَلَوْ أَبَيْتُ      بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّجْلُدِ وَالصَّبْرِ  
وَمَا فَعَلْتُ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ فِي الثَّرَى      فَقَدْ سَاءَ ظَنِّي بَيْنَ أُدْرِي وَلَا أُدْرِي

ولمعزتها، يهدأ رمسها، لأنه بات مأوى للحشمة والحياء والجمال

يقول: [الطويل]

(١) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٣) ديوان الأعمى التطيلي: ص ٧٠.

هنيئاً لقبر ضمّ جسمك إنه      مقرُّ الحيا أو هالة القمرِ البدرِ  
وإنك فيه كلّه عبثُ البلى      بأرجائه كالغصنِ في الورقِ النَّضْرِ

وربما سلبت الزوجة لبّ وقلب زوجها وهيمنت على كيانه فأحبها حباً روحياً خالصاً مع الوفاء لهذا الحب، وما شعوره بالتقصير بعد وفاتها لدليل واضح عليه.  
يقول<sup>(١)</sup>: [الطويل]

ذكرتكَ نكرَ المرء حاجةً نفسه      وقد قيلَ إنَّ الميتَ مُنْقَطِعُ الذِّكْرِ  
ووالله ما وفيتُ رزءك حَقَّهُ      ولكنه شيء أقمّتُ به عُذْرِي  
ولعلَّ الآهات التي بعثها قاطعُ على لوعته لفقدِه الأليفِ المخلصِ  
والزوجة المحبة يقول<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَمِعْتَ تَأْوَهِي      فقد رُعْتُ لو أسمعْتَ قاسيةَ الصخرِ  
وهل لعبتُ تلك المعاطفُ بالنُّهي      كسالفِ عهدي في مجاسدها الحمرِ  
ويصور لنا الشاعر ابن حمديس الصقلّي المتوفى (٥٢٧هـ) منزلة الزوجة في كنف زوجها ومكانتها في الأسرة وعند الأولاد بلون ربما لم يطرقة المشاركة وهو رثاء الزوجة على لسان أولادها.

فالزوج الشاعر لم يستطع الإعراب عن شعوره تجاه ذلك الرزء الجليل فرآح يُرثيها على لسان ولديها ربّما إستحياءً أو مخافةً من لوم اللائم واصفاً برّها بقوله<sup>(٣)</sup> (\*): [الخفيف]

لم أقلُ والأسى يُصدّقُ قولي      جمَدتْ عَبرتي فلذتُ بحملي  
ولو أني كَففتُ دمعِي عليها      عقلي برّها فأصبحَ خصيمي

(١) المصدر السابق : ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه : ص ٧٢.

(٣) الديوان: ص ٤٧٩ صححه وقدم له الدكتور احسان عباس - دار صادر - بيروت ١٩٦٠.  
\* ابن حمد يس : عيد الجبار ابن محمد الصقلّي توفي في جزيرة ميروقة سنة ٥٢٧هـ عاش في اشبيلية وكان يرتاد مجالس الشراب فيها ويشهد مجالس الرقص التمثيلي فجاء وصفه للمرأة منبعثاً من هذا المنطلق ورثاء جوهرة التي غرقت بعد خروجه تمثلت فيها خصال المرأة الأندلسية.

كُنْتُ أَحْشَى عَلَيْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ لَوْ تَخَيَّلْتُ فِي مُصَابِكَ هَمِّي

وتصادفنا صورة العفاف والتقى والدعوات المستجابة النابعة من إيمانها بالله،

يقول<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

وعفاف لو ان في الأرض عادت  
وصيام بكل مطلع شمس  
ولسان دعاؤه مستجاباً  
لي أودعته الرغام برغمي  
كل عظم من الدفين وأجم  
وقيام لكل مطلع نجم

ولقد تميزت هذه الزوجة بفضائل أهمها تبنيتها ورعايتها للأيتام. وكرمها وأحسانها الذي شمل كل الناس صغاراً وكباراً، وصنّدتها الجارية التي أحييتهم وأنقذتهم من العدم. إن هذه الفضائل قد تدل على رقي المرأة العقلي من ناحية وعلى مشاركتها الرجل في تصرفاته من ناحية أخرى. ولما نجد مثل هذه الصفات<sup>(٢)</sup> عند غيرها من النساء في الأمم<sup>(٣)</sup> الأخرى. يقول<sup>(٤)</sup>: [الخفيف]

كم تكأفت من كبيرة سن  
فأضاقت يدك من صدقات  
وتبنيت من صغيرة يتم  
كان يحيا بهن ميّت عظم

ويؤكد ابن حمديس حسن أخلاقها، وإتصافها بالعفة وصيانة العرض والشرف والأمانة وبعدها عما يشينها أو يكسبها الذم فاستحقت أن تكون في جنة الخلد ورياحين النعيم في الآخرة قائلاً<sup>(٥)</sup>: [الخفيف]

(١) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٧٩.

(٢) انظر أحمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي: ص ٣٦٧.

(٣) علي الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي: ص ١٨٢.

(٤) ديوان ابن حمديس: ص ٤٨٠. وانظر ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة

النفوس: ص ٦٠ منشورات دار الأخلاق - بيروت ط. الأولى - ١٩٧٨ والثانية ١٩٧٩.

(٥) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٨٠.

كان بين الأناس عُمْرِكِ حمداً      قد تَبَرأت فيه من كلِّ ذمٍّ  
أنتِ في جنةٍ وروضٍ نعيمٍ      لم يَسِمِ أرضها السحابُ بوسمٍ

وينقل لنا أُمْنِيَةُ بناتها في تَفْديها بالأعاجم لفصاحتها وبلاغتها في الكلام  
قائلاً<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

وينادين بالتفجع أماً      يا فداءً لها إجابةً غنم<sup>(٢)</sup>

وقد يجسُدُ رثاءَ الزوجةِ على لسانِ ولَدَيْها ما تَحْمَلُهُ من صِلاتِ بأبنائِها،  
ونظرةِ المجتمعِ إليها والعلاقةُ بينها وبين أهلها وأقربائها فهي أُمٌّ وزوجةٌ وربُّةٌ بيتٍ  
ومربيةٌ للأولاد. يقول<sup>(٣)</sup>: [الخفيف]

لو بكى ناظري بصوبِ دِماءٍ      ما وفي في الأسي بحسرةِ أُمِّي  
وضعتني كرهاً كما حملتني      وجرى ثديها بشرِبي وطعمي  
يا أبا بكرٍ : المصابُ عظيمٌ      فهو يُبكي بكلِّ سَحٍّ وسَجَمٍ  
أنتَ في الوِدِّ لي شقيقٌ وفاءٍ      ومصابي إلى مُصابِكِ ينمي  
أنتَ في صفوةِ الأفاضلِ نَدْبٌ      في نصابِ كَرِيمِ خالٍ وعمِّ  
فسقى التربةَ التي هي فيها      عَارِضٌ منه رحمةُ الله تَهْمِي

وقد تمتاز مشاعر الحب ومشاعر الحزن فنجد القصيدة في الرثاء والغزل  
معاً فتظهر صورة جمال الزوجة والإشادة بحاسنها من خلال التفجع عليها، ورثائه

(١) ديوان ابنحمديس : ص ٤٨٠.

(٢) الغنم والأغنام : الذين في منطقتهم عجمة. أي فداؤها هؤلاء.

(٣) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٧٧ - ٤٨٠.

لها. فَيَجْسُدُ الشاعِرُ لَنَا صُورَةَ قَلْبِهِ الْمُضْطَرِبِ بِفَجِيعَتِهِ بِزَوْجَتِهِ وَأُمِّ وَلَدِهِ (جَوْهَرَةُ  
التي غرقت في البحر ، فيقول <sup>(١)</sup>: [البسيط]

وَيَا تَالِقَ نَظْمِ الشَّمْلِ مَنْ نَشْرَكَ  
وَيَا شَبُؤُنِي <sup>(٢)</sup> وَشَأْنِي كُلُّهُ عَجِبٌ  
مَا خَلَّتْ قَلْبِي وَتَبْرِحِي يَقلِّبُهُ  
لَا صَبْرَ عَنكَ، وَكَيْفَ الصَّبْرَ عَنكَ وَقَدْ  
وَيَا تَالِقَ نَظْمِ الشَّمْلِ مَنْ نَشْرَكَ  
فُضِّي يَواقِيتَ دَمْعِي وَأَحْبِسِي دَرْرَكَ  
إِلَّا جَنَاحَ قِطَاةٍ فِي اعْتِقَالِ شَرَاكَ  
طَوَاكَ عَن عَيْنِي المَوْجِ الَّذِي نَشْرَكَ

على ما يبدو أن الزوجة في رثاء الشعراء اسم تتجلى فيه كل معاني الإلفة  
ونكران الذات.

وصور ابن خفاجة الحشمة والحياء في رثاء هذه الزوجة التي بدت كالعذراء،  
قائلاً <sup>(٣)</sup>: [الكامل]

وسطا بسيدة النساء وما درى  
وإليك من حُرِّ الكلامِ عَقِيلَةً  
أَنْ قَدْ سَطَا بِقَلِيلَةِ النَّضْرَاءِ  
قَصْرَتْ خُطَاهَا حِجْلَةَ الْعِذْرَاءِ

(١) نسبها عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي: ص ١٨٥ - ١٨٦ إلى ابن حمد يس وقد أخذ بها  
الديوان - منشورات دار الشرق - بيروت ١٩٧٥. الشؤون: مفردا شأن ، وهي العروق،  
وشأني معناها أمري.

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي: ص ١٦٦، وأنظر عبد الرحمن البرقوني: دولة النساء: ص ٥٤١ ط.  
الأولى - مطبعة الاعتماد ١٩٥٤

## الزوجات السريات:

وللعرب مقاصد في الزواج ليس المتعة فحسب وإنما التنازل وإنجاب الأولاد الأقوياء<sup>(١)</sup>: ونجد كثيراً من السراري القيان والإمات أصبحن أمهات أولاد ينجبن الهجان المولدين من الرجل والنساء<sup>(٢)</sup>.

وقد حرّم الإسلام من الإماء ما حرّم من الحرائر إلا العدد<sup>(٣)</sup>، ونقل المقرئ صورةً لأمة تصبح حرّة بعد أن أولدها سيدها فمات عنها ثم تزوجها عيّد، فأنجبت بنتاً، ربما شكلت هذه ظاهرة تعدّد من أهم الظواهر الاجتماعية التي عانت المرأة منها.

ولقد شاع نظام تعدد الزوجات واتخاذ الرجل أكثر من زوجة له، يؤكد لنا ابن بسام ذلك في مقتل علي<sup>(\*)</sup> بن حمود يقول: (ولما استطال نساؤه بالحمام دخلن عليه فلم يرعهن إلا سيل دمه)<sup>(٤)</sup>. ولكننا نجد زوجة واحدة فقط تتمتع بحمل لقب (السيدة الكبرى). وتكون الزوجة الأولى عادة، أما بقية الزوجات فيكن محظيات<sup>(٥)</sup>

وتتضح صورة محظيات المعتمد بن عباد عند توديعهن ليلاً وقد أخفى وجسده عليهن ورَجَع فقال<sup>(٦)</sup>: [الكامل]

دارى الغرام، ورام أن يتكّما وأبى لسان دموعه، فتكلّما

(١) أنظر الإسلام في أسبانيا: ص ٢٤ - ٢٥. والأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص ٤٥.

(٢) د. واجدة الأطرقي: المرأة في الأدب العباسي: ص ٢٣ دار الرشيد للنشر - ١٩٨١.

(٣) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٨٣٩.

\* علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي. وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس لقبه، الناصر لدين الله كنيته أبو الحسن أمه البيضاء بنت عم أبيه، خلافته سنة واحدة قتل عام (٤٠٨هـ). انظر البيان المغرب: ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) د. واجدة الأطرقي: المرأة في الأدب العباسي: ص ٢٣ دار الرشيد للنشر - ١٩٨١.

(٥) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٨٣٩.

\* علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي. وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس لقبه، الناصر لدين الله كنيته أبو الحسن أمه البيضاء بنت عم أبيه، خلافته سنة واحدة قتل عام (٤٠٨هـ). انظر البيان المغرب: ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠.

(٦) الديوان: ص ٢٦.

رحلوا، وأخفى وجده فأذاعه  
سائرُهم، والليلُ غفلٌ ثوبُهُ  
فوقفتُ ثم مُحَيَّرًا وتسَلَّيتُ  
ماء الشُّجون، مصَّرحاً ومجمما  
حتى تراءى للنواظرِ معكما  
منى يذُ الإصباحِ تلك الأنجما

ويبدو الرجل قد وصل إلى درجة من الوعي العقلي، فلم يعدّ الجمال بنظره معياراً للسعادة أو شرطاً من شروط إقترانه بالمرأة قد يجد نعيمه في طيب عَشْرَتِها وفطنتها وبراعتها في قول الشعر. كما قيل وللناس فيما يعشقون مذاهب.

### وساوس الزوجة :-

كان للتيارات التي رافقت العصر وما صحبهُ من إبتذالِ القيان وكثرة الجواري واختلاط الرجال بالنساء أثرٌ واضحٌ في إثارة الشكِّ والقلقِ عند الحرائرِ من الزوجات فرحنَ يظننَّ بأزواجهن الظنون، والمعتمد على الرغم من شعوره تجاه اعتماد، له ما يلهيه أحياناً عنها وبملاً وقته ويشغلُ فكرةً فتثورُ غيرتها فتظن في زوجها الظنون. وهذه الأبيات تُقدِّمُ صوراً للحالة النفسية التي أصابتها، وموقف الزوج منها يقول<sup>(١)</sup>: [الطويل]

تَظُنُّ بنا أمَّ الربيعِ سامةً  
أهجرُ ظيباً في فوادي كناسه  
وروضة حُسنٍ أجتتياها وبارداً  
إذا هجرت كفَّ نوالاً تفيضه  
ألا غفرَ الرحمنُ ذنباً تواقعه  
وبدرَ تمامٍ في جفوني مطالعه  
من الظلمِ لم تُحْظِرْ عليَّ شرأعة  
على معتقيها أو عدواً تقارعه

ومما أثارَ قلقَ الزوجات ووساوسهنَّ شيوع مظهر الميل نحو الغلمان فكانت ضحيته المرأة لأنه سببٌ لإساءة عَشْرَتِها<sup>(٢)</sup>، ولا ريب أن دوافعه كثيرة فساء ظنها به

(١) ديوان المعتمد بن عباد: ص ٢٣ . وانظر المصدر نفسه: ص ٦٦ تحقيق د. صلاح خالص.

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٣٦.

وهي معذورة، لقد بدت الزوجة تشك في حبه لها، مما دعا زوجها أن يصرح بحبه قائلاً<sup>(١)</sup>: [الطويل]

سلي تعلمي ، إن كنت غير عليمه      بأن ليس في حبي لغيرك مطمع  
وأن لي القلب الذي ليس خالياً      من الوجد، والجن الذي ليس يهجع

ويظهر أنها أثرت في سلوكه تأثيراً إرادياً عميقاً ووجهته وملكته زمانه  
يقول<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

يذكرنيك الغصن يهتز عندما      يهب نسيم، والغزالة تطلع  
فوالله لا أنفك أذكر موضعي      لديك، ولا أنفك نحوك أنزع

ويبدو أن هذه الأوهام لم تكن وفقاً على الزوجة بل دبت إلى قلب الرجل  
أيضاً ... فنجدده هو الآخر قد انتابه القلق فراح يبعث إليها أشعاره قائلاً<sup>(٣)</sup>: [المتقارب]

أقيمي على العهد ما بيننا      ولا تستحيلي لطول البعاد  
دستت إسمك الخلو في طيه      وألفت فيه حروف اعتماد

### منزلة الزوجة عند بعليها:-

احتلت الزوجة مكانة متميزة عند زوجها ومجتمعها بحيث أصبحت مضرِباً  
للأمثال، وقد أورد ابن بسام بيتين من الشعر تضمنت تلك<sup>(٤)</sup> المكانة: [الوافر]

أتيتُ بمنطق العرب الأصيل      وكان بقدر ما عانيتُ قبلي  
فعارضتُه كلاماً كان فيه      بمنزلة النساء من البعول

(١) ديوان المعتمد بن عباد : ص ١٩-٢٠

(٢) ديوان المعتمد بن عباد ص ١٩ ، تحقيق أحمد أحمد بدوي.

(٣) المصدر نفسه : ص ٨.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٢٠ - اختيار ابن بسام لهذه الأبيات تدل على مكانة الزوجة المتميزة.

ولقد شهد للزوجة صواب رأيها وتدبرها لشؤونها وبتها في بعض القضايا  
الخطيرة وحلها للمشكلات المستعصية التي قد يصعب حلها على الحكام والقضاة  
أنفسهم.

وقد كتبت بعضهم مداعباً صاحبة، القاضي، الذي كان له زوجة يسترشد  
بأرائها وربما كانت تشاركه في إصدار الأحكام يقول<sup>(١)</sup>: [المقارب]

بلوشة قاض له زوجة وأحكامها في الوري ماضية  
فيا ليتة لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضية

ويتبين إنها صارمة في أحكامها فقد كتبت بعد إطلاعها بديهة، ونحد في  
الآبيات اقتباس من القرآن الكريم قائلة<sup>(٢)</sup>: [مجزوء الرجز]

هو شيخ سوء مُزدرئ له شوبب عاصية  
كلا لئن لم ينته لنسفاً بالناصية

وكانوا (يتسورون، حديث النساء بعد البعول)<sup>(٣)</sup> وربما حلت الزوجة مكان  
الصديق الحميم لا بل مكاناً لم يرق إليه حبيب من قبل، يقول المعتمد بن  
عباد<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

(١) نفح الطيب : ج ٦ م ٣ ص ٣٠ . ذكر المقرئ الخبر السابق اثناء سرده لأخبار الشواعر بين  
حديثه عن مهجة القرطبية ونزهون الغرناطية قد يكون فيه بعض الصحة عن وقوعه ضمن  
عصر الطوائف، راجعنا ما كتب عن القضاة في الأندلس، ولم نتمكن من تحديد الفترة . ولم  
نعثر على اسم قاضي لوشة.

(٢) نفح الطيب: ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٣٦٠ يتسورون: أي يتمتعون بالسرادي، جمع سرية بضم السين نسبة إلى  
السر (أي النكاح) علي غير قياس، وهي الأمة التي يتسري بها سيدها ومالكها ويتخذها للوطء  
وتسمى السرية نسبة إلى السر لأنهم في الغالب كانوا يتخذون السرية في سر من زوجاتهم  
الحرائر أنظر دولة النساء: ص/٥٤ .

(٤) ديوان المعتمد : ص ٦ ، تحقيق أحمد أحمد بدوي .

قما حلَّ خِلٌ من فُؤادِ خَلِيلِهِ مَحَلَّ إِعْتِمَادٍ من فُؤادِ مُحَمَّدٍ

ولقد حظيت الزوجة عند زوجها بمنزلة الروح من الجسدِ وحُبها في جوانحه  
مقيم لا يَبْرَحُ يقول<sup>(١)</sup>: [الكامل]

حُبُّ اعْتِمَادٍ في الجِوَانِحِ ساكِنُ      لا القلبُ ضاقَ به ولا هوَ راحِلُ  
مَنْ شَكَ أَنِّي هَاتِمٌ بِكَ مَغْرَمٌ      فعلى هَواكِ لَئِى عَلَيَّ دَلَائِلُ

وربما ملكت قيادته فهو كلما ابتعد عنها زاد ولهاً وشغفاً بها يقول<sup>(٢)</sup>: [المتقارب]

أغائبةُ الشخصِ عن ناظري      وحاضرةٌ في صَمِيمِ الفؤادِ  
عليكِ سلامٌ بقدرِ الشجو      نِ ودمعِ الشؤنِ وقدرِ السُّهادِ  
تملكتِ مِنِّي صَعَبَ المِرا      مِ وصادفتِ وُدِّي سَهْلَ القِيادِ  
مَرادِي لُقِيَاكِ في كلِّ حينٍ      فياليَتِ أَنِّي أعطِي مُرادِي

ومن المظاهر الاجتماعية التي شاعت في الأندلس بناء البيوت من الفضة  
إرضاءً للمزوجات وتقديم الهدايا النفيسة والغالية المصنوعة من الذهب الخالص،  
فصاغ المعتمد بن عباد غزلاً وهلالاً من الذهب وقدمه هديةً إلى السيدة بنت مجاهد  
العامري وابنها، وبعث إليها قائلاً<sup>(٣)</sup>: [الوافر]

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ      وللشمسِ المنيرةِ بالهلالِ

ونزولاً عند رغبتها وحرصاً على محبتها، زرع سفوح الجبال التي تطل على  
القصر الملكي بأشجار اللوز<sup>(٤)</sup> التي تمتلئ بالزهور البيضاء في الربيع بعد ذوبان  
الثلوج.

(١) المصدر نفسه : ص ٢٣.

(٢) ديوان المعتمد : ص ٤٧ تحقيق محمد زهدي يكن قدم له د. سامي نميب. ط. بيروت ١٩٧٥.

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٤. وانظر المصدر نفسه: ص ٢٤ تحقيق صلاح خالص .

(٤) انظر المصدر نفسه: ص ٦٢ - ٦٣ وانظر نفع الطيب: ج ٥ ص ١٣٦.

أما ما فعله لها في يوم الطين فقد أصبح مضرِباً للأمثال فكان يقال (ولا يوم  
الطين) لمن ينكر فضلاً كبيراً قد أسدى إليه فيذكر به.

ولم تكن الزوجة شريكة للحياة فحسب وإنما بدت أليفاً مؤنساً للزوج تسد عليه  
خلة الخليل . يقول الشاعر<sup>(١)</sup>: [الطويل]

سلامٌ سلامٌ أنتما الأُنسُ كلهُ      وإن غبتما أمَّ الربيعِ هي الأُنسُ

### كره الزوجات وهجاؤهن:

ومن الصور التي نقلها لنا الشعرُ كره الزوجات وشتمهن، ولم يقتصر على  
صورة الزوجة بل تعدى إلى الإنتقاص من نسبها وعائلتها والحط من قيمة أولادها ،  
مثل ذلك قول ابن عمار في المعتمد بن عباد وزوجته اعتماد<sup>(٢)</sup>: [المقارب]

أراك تُورِي بحبِّ النساء      وقد ماعهدتُك تهوى الرجالا  
تخيرتها من بنات الهجا<sup>(٣)</sup>      ن رميكية ما تساوي عقلاً  
فجاءت بكلِّ قصير العذا      ر لئيم النَّحارينِ عمأً وخالا  
قصارُ القُدودِ ولكنَّهُم      أقاموا عليها قروناً طولا

ونلمس صرخة أخرى عند<sup>(٤)</sup> زوج ضاق ذرعاً بامرته ربما لسوء عشرتها،  
وفحش أخلاقها فباتت ثقيلة عليه فتمني موتها:

(١) انظر نفح الطيب : ج٦ ص٤٩، البيت للمعتمد بن عباد.

ديوان ابنعمار الأندلسي: ص١٢٢. تحقيق د. صلاح خالص - باريس ١٩٥٣، نسخة مكتوبة  
بخط يد المحقق. مكتبة الدراسات العليا - جامعة بغداد.

(٢) ديوان ابن عمار الأندلسي: ص١٢٢. تحقيق د. صلاح خالص - باريس ١٩٥٣، نسخة مكتوبة  
بخط يدالمحقق. مكتبة الدراسات العليا - جامعة بغداد.

(٣) الهجان والهجين : اللّيم ، ويطلق على العربي الذي يولد من أمه، أو من أبوه خير من أمّه.  
والتصد هنا من العقال الدية إشارة للقول المأثور: (لا تعقل العاقلة عمداً ولا عبداً).

(٤) العقد الفريد : ج٦ ص١٤٤.

## الإفصال والطلاق :-

الطلاق مصطلحٌ قديمٌ يُرادُ به تنازل الرجل عن حقوقه التي على الزوجة كافة (١). ويفرد الزوج دوماً بحق الطلاق إلا في حالات إستثنائية نادرة (٢). وهو نظام عام عند العرب واليهود، واليونان، والرومان وقد أباحه الإسلام وأن ضيق من دائرته (٣).

وظاهرة الطلاق من المظاهر الاجتماعية التي شاعت في عصر الطوائف مع بقاء العصمة بيد الرجل، كما إن عادة الحلف بالطلاق في الأمور الهامة شاعت هي الأخرى. فقد (حلف عكاشة بن ناصر بطلاق نسائه أنه لا يقاتل مع (شنجول) (٤) وقد وجدنا رجالاً من بين الشعراء طلقوا زوجاتهم وندموا فبعثوا شعراً فيه حرقة ولوعة وعاطفة صادقة نستخلص منه مدى تأثير الزوجات في نفوس أزواجهن فمطلقة ابن هند الداني نراها تركت في سويدائه ذكرى جميلة يقول (٥): [الكامل]

أرتيمه الألفاظ غير رحيمة      الدلُّ ذلك أم نهالك نهالك  
هبت ضحى وأهاب طيب نسيمها      حتى عرفت بعرفها مثواك  
فطفقت أنشدهم وأنشد بعدهم      يا دارُ جادك وابل وسقاك

(١) المرأة في الشعر الجاهلي: ص ١٧١.

(٢) المرأة عبر التاريخ: ص ٢٥ - ٧٩.

(٣) الدكتور أحمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي: ص ٢٢٢ ط ٤، القاهرة.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب: ج ٣ ص ٣٣.

شنجول: اسمه عبد الرحمن الملقب بشنجول اسم غلب عليه من قبل أمه عبدة بنت شنجة النصراني الملك، تذكرها منها لاسم أبيها فكانت تدعيه منذ صغره بشنجول. انظر ترجمته في البيان المغرب: ج ٣ ص ٣٨.

(٥) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٨٩٦ - ٨٩٧ سماه في النفع: ج ٣ ص ٢٦٥ ط. احسان عباس ابن هند

والداني نقلا عن المصدر السابق.

وقد تقع العداوة بين الزوج ووالد زوجته فيكون سبباً في الطلاق بين الزوجين  
رغماً عنهما، فيظل الزوج وحيداً يكابد الشوق لزوجته وقد جسّد ذلك الشاعر حين  
قال<sup>(١)</sup>: [الكامل]

هلا بعثت ولو بفرع بشامة      عند الترحّل أو بعود أراك  
وقرات حين قرّبت ربعك أدمعي      معنى الجوى والشوق في مغناك  
يا بنت معتق الفوارس بالقنا      والبيض ما أنا من يهاب أباك  
ويبدو حب الزوج لمطلقته صادقاً واحترامه وإجلاله لها واضحاً ليس خوفاً  
ولا طمعاً بالمال فهو فارس من الفرسان جواد كريم يقول<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

لا قرّن أرهبه سواك وإن غدا      شاكي السلاح فإنّ قلبي شاك  
أهواك حاليّة وعاطلة وإن      تذري الحليّ كفاك بعض حلاك  
"ويسرّها ما ساءني من حبها      كالروض يضحك السحاب الباكي  
مهما وحلت وصار حبك قاطناً      فبالموت في أولاك أو أخراك  
وربما تركّ إبتعاد الزوجين عن بعضهما آلاماً يدفع ثمنها الصغار لفقدهم  
الحنان، يقول الشاعر<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

ولما تدانت للوداع وقد هفا      بصنبريّمها أنة وزفير  
تتأشدني عهد المودّة والهوى      وفي المهد مبغوم النداء صغير

(١) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٨٩٦ - ٨٩٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها. \* ابن هدد الداني : لعله عبد الجليل بن وهبون المتوفى سنة

(٤٤٨٣هـ) أنظر الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٨١٨.

وينقل لنا أبو محمد عبد الله بن سارة الشنتريني<sup>(١)</sup> المتوفى (٥١٧هـ) صورة مطلقته، التي بدت سليطة اللسان، ذميمة الصفات، قبيحة الأخلاق تنفت خبثاً كالأفعى يقول<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

أما الزمانُ فرقَ لي من طَلَّةٍ      كانت تطلُّ دمي بسيفِ نفاقها  
الذئبةُ الطلساء عند نفاقها      والحيَّةُ الرقشَاءُ عندِ عناقها

وللزوجة الحرّة مشاهد في الوفاء والإخلاص لا تتكرّر، منها ما رواه ابن حزم الأندلسي المتوفى (٤٥٦هـ) عن زوجة يحيى بن محمد - عندما عاجلته المنية بلغ من أسفها عليه انها باتت معه في دثار واحد ليلة مات، ولم يفارقها الأسف بعده إلى حين موتها<sup>(٣)</sup>.

ومنهن من تحملت أهوال الزمان وصرّوفه فرأت زوجها في السجن المخيف بعد القصر المنيف وارتاعت لذلك<sup>(٤)</sup> وهول ما رأت وفوّضت أمرها إلى خالقها، يقول المعتمد بن عباد<sup>(٥)</sup>: [مجزوء الرجز]

قالت: لقد هُنّا هنا      مولاي أين جأهنا  
قلت لها: إلى هنا      صّيرنا إلهنا

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني من أهل شنترين - غرب الأندلس إحترف الوراقة. كان أديباً ماهراً شاعراً ولكنه كان عاثر الجد. انظر خريدة القصر، قسم شعراء الأندلس وأدبائها: ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢) الزخيرة م ٢ ق ٣ ص ٣٩

(٣) ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة: ص ١٦ دار بوسلامة، تحقيق صلاح الدين القاسمي ط. ١٩٨٠، تونس.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٩ ص ٢٦١ ط. دار صادر بيروت ١٩٦٦.

(٥) ديوان المعتمد: ص ١١ (المقدمة).

وقد أورد المقرئ صوراً مختلفة للزوجة جاءت كأنها لغزٌ من ذلك قول

(\*) محمد العربي<sup>(١)</sup>: [السريع]

ما رجلٌ يعجبُ من أمره      من لسم يُحقِّقُ نفسَهُ أمره  
حلَّتْ لَهُ وحُرِّمَتْ زوجة      في اليومِ ثنتي عشرة مة

### تهنئة الزواج :-

التهنئة بالزواج من العادات المستحبة، ولكن نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقال بالرفاء والبنين، "وكان يقول بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير"<sup>(٢)</sup>.

وقد هنأ بعضهم قائلًا: - أقرَّ اللهُ عينَكَ ورزقَكَ ودَّها وولدها وجعلَكَ الباقي بعدها، وربما طلبت الفتاة من نويها التهنئة والدعوات باليمن والبركات في زواجها، نلاحظ ذلك في قول بثينة بنت المعتمد<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

وعسىَ رميكية الملوكِ بفضلها      تدعو لنا باليمنِ والإسعاد

ونستشفُّ صورةَ الرابطة الزوجية المتينة، التي ربَّطتُ الزوجين، المنبتقة من تلك التهنئة الحارة التي بعثها الزوج الشاعر إلى زوجته بعد سلامتها من آلام الولادة وانجابها ولدها المعلى يقول<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

\* ولد بصقلية سنة ٤٠٣هـ وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة ٤٦٤هـ قاصداً المعتمد. فدخل اشبيلية سنة ٤٦٥هـ وكان عالماً بالأدب، توفي (٥٠٧هـ). انظر الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ٣٠١.

(١) ازهار الرياض: ج ٣ ص ٣٠٩.

(٢) الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء: ج ١ ص ٤١١ ط. دار الحياة، بيروت سنة ١٩٦١.

(٣) نفع الطيب: ج ٢ ص ٢٠.

(٤) الحلة السيرة ك ج ٢ ص ٦٩.

أُهْنِيكَ، بَلْ نَفْسِي أَهْنِي، فَإِنِّي  
خِلَاصِكَ مِنْ أَيْدِي الْمَنُونِ وَغُرَّةِ  
بَلَّغْتُ الَّذِي كَانَ اقْتِرَاحِي عَلَى الدَّهْرِ (١)  
بَدَّتْ لِلْمَحَلِّيِّ مِثْلَ دَائِرَةِ الْبَدْرِ  
وَلَا زَالَ أَسْمَى فِي الْمَحَلِّ مِنَ الْغَفْرِ

وبعد أن طالعنا صورة الزوجة التي مثلت جانباً من حياة الزوجات العربية المسلمات، المستمدة من دينهن، الدين الذي أبلغهن العزّة وأحاطهن بسور منيع من العفّة، وعرس في نفوسهن حُب الكرم على اعتباره من الصدقات. فعشن عيشة راضية في كنف أزواجهن، فالمرأة التي ملكت قياد زوجها لا بدّ أنها كانت على درجة عالية من الوعي الثقافي والإدراك العقلي والنضج الفكري بحيث قادت الملك والحاكم والقاضي والشاعر داخل أسرتها، لكنها يوم تولت عن العروبة والإسلام تولت عنها العزّة، فلم تجد غير الذل والهوان.

(١) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

obeikandi.com

المبحث الرابع  
صورة الأبنية

## صَوْرَ لَوْضِعِ الْإِبْنَةِ:-

صَوْرَ لَنَا صَاحِبُ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ صُورَةَ حَالِ الْإِبْنَةِ قَبْلَ عَصْرِ الطَّوَائِفِ -  
لَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ - مِنْ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ  
الْمُتَوَفَى (٢٣٧هـ). كَانَتْ أُمُّهُ إِذَا وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ، أَخْفَتْهَا ، وَرَبَّتْهَا، لئَلَّا يَقْتُلَهَا حَتَّى  
يَجْتَمِعَ عِنْدَهَا مِنْهُنَّ سِتُّ عَشْرَةَ جَارِيَةً. كَانَتْهُنَّ الْبُدُورُ، فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ رَأَتْ مِنْهُ  
رَقَّةً (يَاسِيدِي) قَدْ رَبَّيْتُ لَهُ وَصَائِفَ مَلِاحًا، وَأَحِبُّ أَنْ تَرَاهُنَّ<sup>(١)</sup>. قَالَ : نَعَمْ فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ  
قَالَتْ لَهُ: - (هَذَا بِنْتُكَ مِنْ فُلَانِهِ ! حَتَّى عَدَّتْهُنَّ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أُمِّهِ قَالَ لِخَادِمِهِ  
أَسْوَدَ. (إِمْضِي إِلَيْهِنَّ وَجِئْتِي بِرُؤُوسِهِنَّ) فَوَقَفَ اسْتِعْظَامًا لِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ : إِمْضِي وَإِلَّا  
قَدَّمْتُكَ قَبْلَهُنَّ ! فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ، كَبَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَعَظَمَ فِي قَلْبِهَا. وَقَالَتْ لَهُ:-  
(رَاجِعْهُ) : فَقَالَ لَهَا : لَا سَبِيلَ إِلَيَّ ذَلِكَ : فَقَتَلْتُهُنَّ وَأَخَذَ رُؤُوسَهُنَّ وَجَاءَ بِهَا إِلَيْهِ مَعْلُوقَةً  
بِشَعْوَاهُنَّ فَطَرَحَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَيُنْقَلُ لَنَا أَبُو مَرْوَانَ ابْنَ حَيَانَ صُورَةَ. عَنِ الْأَوْضَاعِ الَّتِي أَثَّرَتْ عَلَى وَضْعِ  
الْإِبْنَةِ فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ وَالْقَبَائِلِ الْمُتَحَالِفَةِ الْمُتَعَاذَةِ عَلَى غَزْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ. الَّذِينَ  
(هَتَكُوا الْأَسْتَارَ وَقَتَكُوا بِالْأَبْكَارِ وَأَسْتَحُوذَ السُّودَانَ وَسُقَالُ الْعَسْكَرِ عَلَى النِّسَاءِ فَكَانَتْ  
أَخْبِيَّتُهُنَّ مَمْلُوءَةً مِنْهُنَّ)<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى إِنْ الْإِضْطِرَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَالْحُرُوبِ الَّتِي سُنَّتْ أَثَّرَتْ  
عَلَى النِّسَاءِ فِي إِنْتِهَاكَ حُرْمَاتِهِنَّ وَافْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ مِنَ الْفَتَيَاتِ، وَرَبَّمَا وَضَعَهَا هَذَا  
أَدَّى إِلَى سَقُوطِهَا وَبِالتَّالِيِ إِلَى تَحْرِيرِهَا وَابْتِدَالِهَا.

وَقَدْ صَوَّرَ ابْنَ حَمْدِيسٍ صُورَةَ لِلْسِّيَّةِ بِقَوْلِهِ:<sup>(٣)</sup> [الكامل]

- 
- (١) البَيَانُ الْمَغْرِبُ : جـ ١ ص ١٣٢- ١٣٣ تَحْقِيقٌ وَمِرَاجَعَةٌ ج. س كَوْلَانِ، وَابْنُ لَيْفِي وَبِرُوفَنْسَالِ  
- دَارُ التَّقَاةِ بِيْرُوتِ لُبْنَانَ.  
(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : جـ ٣ ص ٢٣٩.  
(٣) دِيْوَانَ ابْنِ حَمْدِيسٍ: ص ١٤٥ - ١٤٦

هل تذكرُ الأعلاجِ سبي بناتها  
من كلِّ بيضاءِ الترائبِ عادةٍ  
مجنوبةٍ بذوائبِ كأساودِ  
بظبياً جُعنَ فلانَدُ الأجيادِ  
تمشي كغصنِ البانَةِ الميَادِ  
عبئتَ بهنَ برائنُ الأسادِ

ويُجسدُ لنا المعتمدُ بن عبادصورةَ الإبنَةِ التي حزَّ منظرها قلبَ والدها وهي تتعرض للذلِّ والهوانِ بعدَ زوالِ النعمةِ والجاهِ منها. فتألمُ والدُهنُ لتقلبِ الزمانِ والحدَثانِ على بنانه. فقد رأى أن أكرمهن تَغزَلُ بأجرةٍ لتسدَّ بعضَ خلَّتِها (فأدخل إليها جملةً ما أخرج غَزَلِ لبنتِ عريفِ شرطتهِ المنتقلِ إليه من دولةِ غرناطة) (١). وفي ذلك يقول: [الوافر]

أليسَ الموتُ أروعُ من حياةٍ  
أ أرغبُ أن أعيشَ أرى بناتي  
خوادمُ بنتٍ من قَد كان أعلى  
يَطوُلُ على الشقيِّ بها الشقاءُ  
عواري قد أضربها الجفَاءُ  
مراتبِهِ إذا أبْدُو - النداءُ

ولما رأى بناتَه في يومِ العيدِ في الأطمارِ الرثَّةِ وقد بدت عليهنَّ آثارُ الفاقةِ (٢). راحَ يُناجي نفسهُ شاكياً لاضطرارِ بناتِهِ إلى العملِ لتحصيلِ قوتِهِنَّ (وهُنَّ أقمارُ يَبْدِينِ عند التَسايلِ ويَبْدِ بن الخشوعِ بعد التَخايلِ والضبايغِ قد غيرَ صورَهِنَّ) (٣). يقول: [البسيط]

فيما مضى كنتُ بالأعيادِ مسروراً  
ترى بناتك في الأطمارِ جائعة  
برزنَ نحوك للتسليمِ خاشعةً  
فساءك العيدُ في أغماتِ مأسورا  
يغزَلنَ للناسِ لا يملكنَ قَطْميرا  
أبصارُهِنَّ حسيراتِ مكاسيرا

(١) الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ٢٠٣.

(٢) انظر ديوان: المعتمد: ص ٤٦ - ٤٧ تحقيق د. محمد زهدي يكن.

(٣) فلانَدُ العقيان: ص ١٥. الحلة السيرة: ص ٣٦٠. نفع الطيب: ج ٦ م ٣ ص ٦.

وهذه صورة من الصور التي جعلت بعض العرب يكرهون أن يكون المولود أنثى وفضلوا الذكور، وربها خوفاً من الأسر أو خوفاً من العار.

إن هذا الوصف للبنات لا يمكن تعميمه على وضعها في الأندلس خلال الفترة التي ندرسها، فكثيراً من النصوص الشعرية تؤكد عدم التفريق بين الإناث والذكور عند الولادة من ذلك قول ابن عمار الأندلسي وهو يهنئ المعتمد الذي ولد له مولودان فلا يفرق بين الأنثى والذكر حين يقول: <sup>(١)</sup>: [البسيط]

إهنأ بنجائِكَ من أنثى ومن ذكرٍ لا تعدم الضوء بين الشمس والقمر

وعندما تحدّث الملك عبد الله بن زيري المتوفى (٤٨٣هـ —) <sup>(\*)</sup> عن أولاده قال: (وكان من نعمة الله عليّ أن رزقني بكرًا أولادي إبنة، لم يزل قبيلنا كلُّه يتبرك بها، ويكره أن يكون بكره ابناً ذكراً) <sup>(٢)</sup>.

ونستدل من شعر ابن عباد على إن العلاقة بين البنت وأبيها كانت قائمة على المحبة والمودة والإحترام في أكثر الأحيان. وكثيراً ما حرص الأب على سمعة إبنته، فورد في الذخيرة <sup>(٣)</sup> خبر لأب انتقم من أحد الشعراء بعد أن أرسل إليه حلّة مسمومة منسوجة بالذهب فلبسها فتقرّح جسده لأنه شئب بإبنته.

(١) الذخيرة: ق ٤ م ١ ص ٢٩٨.

\* عبدالله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة التي أسسها فرع من بني زيري بعد سقوط الدولة الأموية بقرطبة ولد ٤٤٧هـ — اعتلى عرش غرناطة سنة ٤٦٩هـ. كتابه هذا وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول. توفي سنة ٤٨٣هـ. انظر المصدر السابق.

(٢) انظر مذكرات الأمير عبد الله بن زيري: ص ١٩٩ تحقيق إ. ليفي بروفنسال - دار المعارض بمصر - ١٩٥٥.

(٣) انظر الذخيرة: ق ٢ م ١ ص ٤٤٧.

وينقل لنا أبو عامر بن شهيدصورة للمحبة والجزع في مرثية يرثي بها بنية

صغيرة يقول: (١): [الرمل]

أيها المعتدُّ في أهل النهى      لا تَدْبُ إِثْرَ قَقِيدٍ وَلَهَا  
وإذا الأسدُ حمت أغيالها      لم يضرَّ الخيسَ صرعاتُ المها  
وغريبُ يا ابن أعمار العلاء      أن يُراغَ البدرُ من فقدِ الشها

ومن المواقف الإنسانية التي صورها الشعرُ - جزعُ الأبِ - على فقدِه لإبنته  
الحسنة الخلق الطيبة السيرة. فتمنى أن توافيه المنية بدلها، وقد صورها ابن حمد يس  
ركناً مهماً في الأسرة والمجتمع وبقدها يورث الألم لأخوانها ولعائلتها فقال يرثي  
إبنته (٢): [الطويل]

فما للردى من منهلٍ لا نسيغهُ      وواردهُ يغني عن العلِّ بالنهلِ  
وانكحتُها من بعدِ صدقِ حمتُها      كريماً فلم تدمُ معاشرَةَ البعلِ  
أساكنةُ القبرِ الذي ضمَّ قطره      على البرِّ منها والديانةِ والفضلِ  
وحلقتُ في حجرِ الكأبةِ للبكا      بناتٍ لأمٍّ في مفارقةِ الشملِ

وقد وافت المنيةُ إبنةَ المعتضدِ بن عباد وهي فتاةُ شابةٍ في عمر العرائس،  
فرثاها الشاعرُ ابنُ زيدون، بأسلوبِ التأيين، وصوّرَ شَمائلها الحسنة، من تقوى  
وخشوع وفضلٍ وذكاء، مؤكداً أن مثواها سيكون جنان الخلد حيث تسقى من ماء  
الكوثر العذب وتصحب الأتقياء السعداء والشهداء: وحسن أولئك رفيقاً يقول: - (٣)  
[مجزوء الرمل]

(١) ديوان ابن شهيد: ص ١٧٠ جمع وتحقيق يعقوب ذكي، مراجعة د. محمود علي مكي: ط. دار  
الكتاب القاهرة وأنظر المصدر نفسه: ص ٨٢ عني بجمسه شارل بلا- دار الكشوف لبنان ط  
الأولى ١٩٦٣.

(٢) ديوان ابن حمد يس: ص ٣٦٤، وانظر المصدر نفسه: ص ٣٦٦ طبعة دار صادر ١٩٦٠.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٧٥ - ٧٦. تحقيق كامل وخليفة.

حَبَّذَا هَدَى غَرُوسٍ      دَفَنَهَا كَانَ الْهَدَاءُ  
 عَمَّرَتْ حِينًا مَاءَ الْمَاءِ      زِنْ شَاكِلِينَ سَوَاءُ  
 ثُمَّ وَلَّيْتُ فَوَجَدْنَا      أَرْجَ (٢) الْمِسْكَ تَنَاءُ  
 جَمَعْتُ تَقْوَى وَإِخْبَاءُ (١)      تَأْ وَقَضْلًا وَنِكَاءُ  
 سَتَوَفَى مِنْ جَمَامٍ (٢) الْـ      كَوَثِرَ الْعَذْبِ رَوَاءُ  
 حَيْثُ نَلَقَى الْأَتْقِيَا      ءَ السُّعْدَاءَ الشُّهَدَاءُ

ويقال إن المعتضد<sup>(٤)</sup> قد حزن بعد أن فقد ابنته الأثيرة لديه حيث كان دفنها في اليوم السابق لوفاته فأبدي لها حزناً شديداً أهل مملكته فني إظهاره وحضر خواصتهم شهود جنازتها بداخل قصره سنة إحدى وستين وأربعمائة. وقد أورد ابن بسام في الذخيرة هذين البيتين من مرثيه لأبي الأصبع المتوفى (٤٥٠هـ) (٥) في ابنته قائلاً (١) :- [السريع]

إنكسفي ويحك يا شمسُ      وازة بما ضمنت يا رسمُ  
 في سرِّ أجفانك لي حقلةً      وبين أضلاعك لي نفسُ

صورَ ابنُ حمد يس صورةَ الإبنةِ النائحةِ تصويراً رائعاً قائلاً: (٧) [الطويل]

(١) أرج: طيب.

(٢) الأخبات: الخشوع.

(٣) جمام الكوثر: ماء الكوثر.

(٤) انظر شعر المعتضد: ص ٢٧. زهدي يكن وانظر الحلة السيراء: ج ٢ ص ٥٢.

(٥) البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٦) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٤٠٣.

(٧) ديوان ابن حمد يس: ص ١٦٥ ط. دار صادر بيروت ١٩٦٠.

محمد بن أبي الأصبع عيسى بن أبي بكر بن سعيد بن مزين يني أبا عبد الله تمت له البيعة بعد

أبيه وأحبوه لأدبه وكثرة معارفه انظر ترجمته في البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

عزیزٌ علینا أن ینکته کرائمُ      تذیبُ قلوباً فی مدامعها وجددا  
 ینحن مع الأشجار نوح حمائم      تهزُّبها الأحزانُ أغصانها المُلدا  
 فلورَدٌ من کف المنیة مالکُ      ینوح نباتِ کان أول من رُدّا

یبدو دور الإبنة أقل بكثير من دور الأم والزوجة . وقد لاحظنا تميزها في نذب الموتى التي تمثل عن الشاعر السابق. وربما انفردت به دون بقية النساء.

### خطوبة الإبنة وزواجها :-

لقد أكد الإسلام الحرية الكاملة للفتاة لاختيار الزوج، وكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنته فاطمة (رضي) كل البنات فقال: ((فإنما هي بضعة مني يربيني ما أبها ويؤذيني ما أذاها.))<sup>(١)</sup> وقد جاء في بهجة المجالس: "البنون نغم، والبنات حسنات، والله عز وجل يحاسب على النغم، ويجازي على الحسنات"<sup>(٢)</sup>

وروى أيضاً عن (إعالة البنات ثوابه الدخول إلى الجنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتين أو أختين كنَّ له حجاباً في النار فإن صبرَ عليهن حتى يزوجهن دخل الجنة"<sup>(٣)</sup>.

يبدو أن الأب كان يفخرُ بإبنته إذا تقدّم لها خطيباً ولمكانتها عند أهلها وذويها يذكرُ الشعراء تلك الخطوبة في قصائدهم، ونرى ابن الضابط(\*) المتوفي (٤٤٠هـ) يصور قصائده مشبهاً إياها بالإبنة المخطوبة قائلاً<sup>(٤)</sup>: [المتقارب]

(١) انظر أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح عن كتاب النكاح: ج٣ ص ٥٨

تحقيق لودلف قرهل - طبعة ليدن - مطبعة بريل ١٨٦٨م.

(٢) بهجة المجالس وانس المجالس: ج١ ص ٧٦١.

(٣) المصدر نفسه: ج١ ص ٧٦٦.

\* ابن الضابط: عثمان بن أبي بكر بن حمود بن أحمد الصديقي، يكنى أبا عمرو ويعرف بالسفافنس وأصله منها.

(٤) ابن بشكوال: الصلوة: ج٢ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ترجمة (٨٧٩) تحقيق عزت العطار.

عواطل من كل زينه  
بمحض الوداد ويشنا ضنينه

خطبت بناتي فارسهن  
لتعلم أني ممن يجود

وقد يمنع الوالد زواج ابنته إلا من الكفو، ولحين توافر العدل. ويرى في ذلك  
صيانة لها، يقول الشاعر: (١) [الكامل]

بكرت بخت على الأنام بوجهها  
ومنعها من ليس من أزواجها  
وصرفتها محجوبة بصوانها  
مثل السلوك تصان في أراجها

وكان الأندلسيون حريصين على ألا يزوجوا بناتهم إلا للأماجد من الرجال،  
ضماناً لمستقبلهن يقول ابن حمد يس: (٢) (٣) [الكامل]

أما بناتي المفردات فإنها  
من الحسب أشهر من بنات حبيب  
لا ينكح العذراء إلا ماجد  
تبقى بعصمته بقاء عسيب

يبدو أن الفتاة كانت ترفض الزواج من الشيخ الكبير الذي يعيش على  
الذكريات، قال الشاعر: (٤) [الكامل]

قدح المشيب بمفرقيه زنادا  
لا يستطيع لناره إخمادا  
أكثر من ذكر الفتاة وقلما  
تُعطي لذي الذكر الفتاة قيادا

وعرف الزواج من الفتيات في الأندلس المهور ولاسيما إذا أراد الخطيب أن  
يرتبط بفتاة حرة: يقول ابن دراج القسطلي: (٥) [المتقارب]

(١) انظر قلاند العقيات: ص ٢٩٨. البيتان للحكيم أبي الفضل بن شرف. من شعراء القرن الخامس  
الهجري. انظر ترجمته في القلائد: ص ٢٩٠. ط. دار الكتب - تقديم محمد العنابي.

(٢) ديوان ابن حمد يس: ص ٦٢.

(٣) حبيب: هو أبو تمام، غالبين رباح.

(٤) انظر ديوان ابن حمد يس: ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) ديوان ابن دراج القسطلي: ص ٧٨، وأنظر الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٩٠-٩١.

مهاري عليها رجال الرّحيل  
وعذراء نصت بنصّ الذّميل

خطبات خطب النوى والمهور  
فمن حرة جليت بالجلء

### الغزل العفيف بالفتاة:-

لقد امتاز الغزل بالفتيات بالنقاء والعفة فجاه؛ بعيداً عن الألفاظ الجريئة المكشوفة في حين تراقصت محلها الألفاظ الرقيقة، المحتشمة فجاشت قلوب الشعراء بعاطفة صادقة فصوروا البنت العذراء البريئة، حيث امتزجت صورتها بالأنغام الروحية السامية، يقول ابن شهيد<sup>(١)</sup> في الفتاة البكر الحسنة التي تفيض خجلاً: [مجزوء الكامل المرخل]

وصغارُ أبقارٍ شكت  
بكر الحسانُ بردنها  
وضحك عجباً فالتقت  
خجلاً فعانت بالكمائم  
من كل واضحة الملامح  
فيها المباسم بالمباسم

وفي صورة الفتاة الغيداء يقول ابن حمد يس: <sup>(٢)</sup> [الطويل]

لها حمرة الياقوت في خدّ مخجل  
كأنّي أرى هاروت منها مصوراً  
وقسوتة منها بقلب مُدَلّ  
على صورتني في كل طرفٍ مكحل

وخجل الفتاة العذراء أصبح موطناً للنسبية حيث يقول ابن حزم فهي كالعذراء الخفرة ، والخريدة الخجلة، تتراءى لعاشقها حتى بين الاستار، ثم تغيب فيها، حدّر عين مراقبة. <sup>(٣)</sup>

وخجلة الحسنة مما يضرب به المثل عند ابن خفاجة الأندلسي فيقول<sup>(٤)</sup>:

[الكامل]

(١) ديوان ابن شهيد : ص ١٥٥. وانظر المصدر نفسه تحقيق شارل بلا : ص ١٠٥ - ١٥١.

(٢) ديوان ابن حمد يس : ص ٣٥٢.

(٣) طوق الحمامة : ص ١٦٣.

(٤) ديوان ابن خفاجة : ص ٧.

حَمَلَتْ وَحَسْبِكَ بِهِجَةً مِنْ نَقْمَةٍ (١)  
عَبِقَ العُروسِ وَخَجَلَةَ العُذراءِ  
خَذَهَا إِلَيْكَ، وَإِنِّهَا لَنَظِيرَةٌ  
طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةً النُّظراءِ (٢)

وقد اقترن الحياء بالعفة والهيبة والحشمة في كثير من الفتيات الموصفات

لدى الشعراء فهذا ابن حمد يس يقول: [الطويل] (٣)

فَتَاةٌ لَهَا فِي النَّفْسِ أَصْلٌ مِنَ الهَوَى  
وَكُلُّ هَوَى فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِهَا بِذَعْ  
تُرِيكَ جَبِينًا يُخْجِلُ الشَّمْسَ هَيْبَةً  
وَخُلُقًا عَمِيقًا فِي الشَّبَابِ لَهُ جَمْعٌ

وقد أكد ابن عمار خجلها الذي تميزت به في أبياته الغزلية العفيفة

فقال: [الطويل] (٤)

فَتَاةٌ عَرَاها الحَسَنُ حَتَّى كَانَهَا  
هِيَ الحَسَنُ أَوْ الْفُ عَلَيْهِ حَيِّبُ  
كَسَا الخَجْلُ المَعْتَادُ صَفْحَةً خَدَهَا  
رِدَاءَ طَرَازه طَرَازُ نَدَى وَلَهَيْبُ

وقد استأثرت فتيات الأندلس الصغيريات بغزل كثير من الشعراء الكبار فقالوا

فيهن أرق المعاني وأعذب العبارات من ذلك قول ابن زيدون يصف فتاة صغيرة بدت

كلتها وسط قباب كثيرة: [الطويل] (٥)

وَفِي الكَلَّةِ الحَمراءِ وَسَطَ قَبَابِهِمْ  
فَتَاةٌ كَمَثَلِ البَدْرِ قَابِلَةُ السَّعْدِ  
عَقِيلَةٌ سَرِبَ لَهَا الأَرَاكُ مَرَادُهُ  
وَلَا قَمْنٌ مِنْهُ البَرَبْرُ وَلَا المَرْدُ (٦)

(١) النقمة : الرائحة . عبق العروس : ما يعبق منها من الرائحة الطيبة.

(٢) النظيرة : الناعمة الجميلة . طرأت عليك : أتتك بغتة .

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص ٣٠٨.

(٤) ديوان ابن عمار : ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ١٠٣ تحقيق نديم مرعشلي.

(٦) العقيلة : الكريمة المخدرة . وقمن : جدير .

وتبدو الفتاة صلبة قوية تجاه المحب، على الرغم من صغر سنها فعاشقها  
يُجلِّها ويتهيب منها ويتمنى أن ينتقل إليها الدنف لتضعطفَ عليه، يقول التطيليُّ في  
فتاةٍ أحبها: (١) [البسيط]

فَقَالَتْ أَشْكُ إِلَيْهَا مَا لَقَيْتَ وَلَا  
عَسَى هَوَاكَ سَيُعِدِّيهَا فَيُعِطِفُهَا  
تَرَهَّبْتُ فَلَنْ تَبْلُغَ الْأَمَالَ بِالرَّهْبِ  
فَقَدْ يَكُونُ الْهَوَى أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ  
وَقَالَ فِيهَا : (٢) [البسيط]

أَصَابَتْ الْقَلْبَ لَمَّا أَنْ رَمَتْهُ وَلَوْ  
وَصُورَةُ الْفَتَاةِ الْحَرَّةِ تَبْدُو مِنْ صَلَابَتِهَا وَابْتِعَادِهَا عَنِ الْإِبْتِدَالِ وَقَسْوَتِهَا عَلَى  
الصَّبِّ كَالْحَجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً. يَقُولُ الشَّاعِرُ: (٣) [الطويل]

فَتَاةٌ إِذَا اسْتَعِطَفْتَ بِاللَّيْنِ قَلْبَهَا  
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَاءَ رَطْبٌ وَكَلِمَا  
عَلَى الصَّبِّ وَهُوَ مِنْ حَجَرٍ أَقْسَى  
سَقَيْتَ حَدِيدًا مِنْهُ زَادَ بِهِ يُبْسِ  
وَمَثَلُهُ قَوْلُهُ فِيهَا: [الطويل] (٤)

وَعِذْرَاءٌ يَخْشَاهَا ذَكَوْرُ أَسْنَةٍ  
وَيَقُولُ : [الحفيف] (٥)  
فِعْصَنَتِي الْفَتَاةُ كِيدَاءٌ وَكَانَتْ  
وَتَتَنَّى لَجْمَعٍ كَلَّمَا إِفْتَرَقَ الْجَمْعُ  
فِي الْهَوَى مِنْ يَدَى إِلَى الْفَهْمِ أُطَوِّعُ

(١) ديوان التطيلي: ص ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٣) ديوان ابن محمد يس : ص ٣٠٥.

(٤) المصدر نفسه : ص ٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه: ص ٣٠٥.

وربما حملت من الثقافة والعلم وأحسنت التكلم والحديث لذا يقصر الوقت عند لقائها يقول (عباد بن محمد المعتضد على الله أبو عمرو) <sup>(١)</sup>: [الطويل]

يطولُ عليّ الدهرُ مالم ألقها      ويقصرُ إن لاقيتها أطولُ الدهرِ  
وقد كمثلُ الغصنِ مالت به الصبا      يكادُ لفرطِ اللينِ ينقُدُ في الخصرِ  
ومشٌّ كما جاءت تهادي غمامةً      ولفظٌ كما انحلَّ النظامُ عن البدرِ

ونجد عبد الرحمن بن هشام يقول في فتاة أحبها: [الطويل] <sup>(٢)</sup>

سلامٌ عليّ من لم يجد بكلامه      ولم يرني أهلاً لبردٍ سلامه  
سلامٌ عليّ الطيبي الذي كلما رمى      أصابَ فؤادي عامداً بسهامه  
وما شك طرفي أن طرفك مسعدي      ومنقذُ قلبي من جبالِ غرامه

ونلاحظ هذا النوع من الغزل خلي من الوقائع والأحوال التي يتعرض لها المحبون، كالهجر، والوصل، واللقاء والوداع، والتجني والاستعطاف وغير ذلك من ملابسات الحب مما يدل على أن الفتاة الحرة كانت بعيدة عن الإبتدال.

وقد حظيت الفتاة بتشبيهات الشعراء بما لديها من جمال خلق وخلق، أجاد ابن زيدون ووصف جيد الفتاة العذراء الموصوفة بالأريحية قائلاً: [الطويل] <sup>(٣)</sup>

(١) الحلة السيرة: ج ٢ ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

عباد بن محمد بن عاتق، كان يأنف في فرطه سنة ٤٤٠ هـ بعد انقراض دولة بني حمود، ولم يلبث أياماً في الحكم فقد ثار عليه ابن عمه المستكفي محمد بن عبد الرحمن.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٩١. أريحية: الخلق الواسع والسماحة.

وأول بها في لؤلؤ من حبابها  
وإن تدعنا للأيس عن أربحيه  
كجيد الفتاة الرود في لؤلؤ العقد  
فقد يأنس المولى إذا ارتاح بالعبد

ويقول المعتمد على الله (محمد أبو القاسم) في صورة العذراء الموردة

الخدِين<sup>(١)</sup>: [المنسرح]

كأنما ياسميننا الغضُّ  
والطرق الحمرُ في جوانبه  
كراكبُ في السماء تبييضُ  
كخذُ عذراء مسَّه عضُّ

وهكذا نالت صورة العذراء إعتزاز الشعراء.

---

(١) البديع في وصف الربيع : ٩١. الحلة السراء: جـ ٢ ، ص ٤٩. البيان المغرب: جـ ٣  
ص ٢٨٥. أعمال الإعلام: ص ١٥٦- ١٥٧.

المبحث الخامس

**صورة الحبيبة**

مما لا شك فيه أن الشاعر الأندلسي كرس جُلَّ أشعاره من أجل المرأة الحبيبة وكان للحرائر نصيب وللجارية نصيب أكبر. ولم يقصد الإسلام إلى كبت هذه العاطفة السامية في نفوس العرب كما أنه لم يحاول أن ينتزعها من نفوسهم. وإنما كان أمرها هنا كامرها في العواطف الأخرى، ولم يهمل الإسلام هذا الجانب.. على العكس نجده قد جعل من هذه العاطفة قوة دافعة نحو الخير العام والصلاح المشترك. (والقرآن الكريم نفسه كان يستثير هذه العواطف وكان يُفِيدُ منها، حين يخاطب العرب ناهياً أو داعياً أمراً أو زاجراً) <sup>(١)</sup>.

ومن الطبيعي أن نجد وقوف الشاعر الأندلسي على الحبيبة بغزله ونسيه أكثر من وقوفه على بقية النساء. فقد قيل في الحبيبة أكثر مما قيل في الأم والزوجة، في نوعه وكمه وقوة عاطفته ووجده.

وربما جاءت كثرة الأشعار في الحبيبة. لأن أبناء الطبقات الراقية كانوا من الشعراء. وكان أغلبية ملوك الطوائف والوزراء وأبنائهم من الشعراء أيضاً. فعاشوا عيشة هائلة مترفة تحت ظل المرأة التي ملكت قلوبهم.

(وأن أسواق النخاسة التي كان يُباع فيها الجواري والغلمان قد شجعت هذه الحياة اللاهية التي وجد الغزل فيها مرتعاً سهلاً، ومن الشعراء من أحب حباً صادقاً ومنهم من تمتع بوهم الحب ولها) <sup>(٢)</sup>، فالغزل (كان ينساب على شفاه الشعراء ويدعو إليه كل ما في الأندلس من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة ومجالس أنس ورخاء وخمر وغناء) <sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر الدكتور شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: ص ١٧٢ مطبعة جامعة

دمشق - ١٩٥٩

(٢) انظر د. جودت الركابي: في الأدب الأندلسي: ص ١٢١ مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.

(٣) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

وكان للتغلغل الأجنبي الاثر الواضح في المجتمع الأندلسي بحيث ظهرت المرأة أمام أعين الرجال ، فتغزلوا بها وافتننوا بمحاسنها من بياض الوجوه وشقرة الشعر ونحافة القدود كالغصون ميساً مما أثرن في قلوب الرجال الحب والإهتمام والرعاية<sup>(١)</sup>. إن صورة المرأة المحبوبة جاءت رسماً واضحاً، وقد يعود ذلك لمخالطتها الفعلية للرجل. فأعانتته على تصويرها. سواء أكان من ناحية الوصف المعنوي كلطافة الروح كما قال ابن وهيون: [الكامل]<sup>(٢)</sup>

أمل من الآمال أحور أهيّف      خلعت عليه لطافة الأرواح

أو جمال الطباع، الذي تمثّل بالعفة والحياء والحشمة والنقاء والوقار والأبهاء والحلم، هذه الأمور هبّت إليها نفس الرجل العربي وقدسها وفضلها وتساوي فيها المشرقي والأندلسي في مختلف العصور وعلى مر الأزمان.

يقول الوزير الكاتب أبو عمرو<sup>(٣)</sup> الباجي في نساء سرقسطه، ويبدو أنهنّ شهرن بالإقراط في الحياء ، وقد حنّ الشاعر لصاحبته بعد فراقه لها وذاب شوقاً بين الأرق والأئين<sup>(٤)</sup> فقال: [المقارب]

فما أنس لا أنسى ذلك الحياء      وذاك السناء وتلك الشيم  
ودنيا بكم طلاقة المجتلى      ودهراً بكم واضح المبتسم  
وساعات أنس تجول النفوس      س فيها مجال حمام الحرم

وقد صور لنا أبعادها النفسية تصويراً دقيقاً فالبخل بالوصل وقسوة القلب، ربما يدل على أن المرأة الحرة كانت صعبة المنال متعنتة الوصال.

(١) انظر طه الحاجري: صورة اندلسية : ص ١٥٨.

(٢) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان: ص ٥٤ط. مصر التقدم العلمية ١٩٦٤.

(٣) أبو عمرو الباجي : كان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي من بلغاء الكتاب. اختلطت رسائله برسائل أبيه. وجاء في هامش الذخيرة: ق ٢ م ١ ص ١٨٦- ١٨٧. بأنه رحل إلى المشرق وحجّ وحجّ وولي قضاء حلب وعاد إلى الأندلس.

(٤) قلائد العقيان: ص ١٠٦.

يقول ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي ، والتي يستدل منه على عفتها

ونقاها: [المقارب]

وغيرك من عهد ولادة  
هي الماء تأتي على قابض  
سراب تراءى وبرق ومضى  
ويمنع زبدته من مخصن

ويقول فيها أيضاً: [المقارب] (١)

ألم أرض منك بغير الرضى  
وأبدي السرور بما لم أنل

ونجد الشاعر في الفترة المدروسة قد اسهب في ذكر الحبيبة وتغزل بها ووصفها وصفاً مادياً ومعنوياً، كابن دراج القسطلي المتوفي (٤٢١هـ) وابن حزم الأندلس (ت ٤٥٦هـ) وابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) والمعتمد بن عباد (ت ٤٨٨هـ) وابن اللبانه (ت ٥٠٧هـ) وربما فات الشاعر في الأمم الأخرى في ذكر المرأة والتلمي بأوصافها. (وقد بدت آثار البيئة على أشعار الأندلسيين الغزلية فشاع عندهم الغزل النصراني وذكر الكنائس والقساوسة والصلبان كغزل بن الحداد المتوفى/ ٤٨٠هـ) في نويرة النصرانية، كما شاع عندهم التشبيب بالشعر الأشقر والعيون الزرق لكثرة ما انوا يصيبون من بني فرنجة الشمال وهم شقر في الغالب) (٢) وعثرنا في الذخيرة على أبيات تشير إلى حب ابن الحداد لنويرة: قائلاً: (٣). [الكامل]

ورأت جفوني من نويرة كاسمها  
ناراً تضيء وكل نار ترشد

(١) المصدر نفسه: ص ١٨١ - تحقيق نديم مرعشلي.

(٢) أنظر د. جودت الركابي: في الأدب الأندلسي: ص ١٢٢ ط، دار المعارف القاهرة ١٩٨٠ وانظر عمر فروخ: تاريخ الأدب الأندلسي: ج ٤ ص ٤٠٤. ط الأولى ١٩٨١ دار العلم للملايين وكراشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس: ص ٥١ ترجمة د. محمد منير مرسي تقديم أحمد هيكل.

(٣) الذخيرة: ق ١/ ٢ ص ٧٠٤.

نويرة كنية جميلة . صاحبة ابن الحداد الوادي أشي.

والماء أنت وما يصح لقا بضع والنار أنت وفي الحشا تتوقد

أطلت علينا الحبيبة امرأة حقيقية. فقد عبر الشاعر بها عن معاناة صادقة، وربما التقى بها فعلاً فصور لنا الواقع الصادق لحياتها، ولم ينطق عن خيال، كما عبر الشاعر المشرقي نتيجة الحرمان، وربما وصف امرأة من خياله لم يرها ولم يلتق بها بسبب التقاليد والعادات التي حجبها عنه أولاً، وبسبب ما شاع في بيئته المحافظة من مفاهيم حول المرأة جعلت التعرف إليها أمر غير مقبول اجتماعياً ولهذا فإن المرأة التي ظهرت في شعرهم من نسج خيالهم واستعاروا لها أوصافاً هي الأوصاف التي تغني بها الشاعر العربي القديم.

أما (الحبيبة عند الشاعر الأندلسي فقد بدت مهيمنة على حياة الشاعر ولم نجد لها جارية أو ساقية خمر بل ألفيناها شريكة لحياته يناغيها بألطف وأرق المعاني والألفاظ مصوراً إياها الإنسانية المتمثلة بها كل القيم الإنسانية<sup>(١)</sup>، (كما تبدو الصبغة الواقعية على شعر الحب الأندلسي)<sup>(٢)</sup>.

### التذلل للحبيبة :-

تبدو ظاهرة التذلل والخضوع للمحبوب قد امتدت إلى شعراء عصر الطوائف فورد بمختلف ألوانه عند العشاق الأندلسيين، يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

ليس التذلل في الهوى يُستكرُ فالحب فيه ، يخضع المُستكرُ

كما صورت لنا اشعارهم حالة المحب الذليل، فالحرُّ يُصبح عبداً إذا وقع بمرض الدنف وربما يلتذُّ بسقامه، وقد صور لنا الشاعر ابن عمار المتوفي سنة (٤٧٧هـ) حالة من حالات الحب يقول<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

- 
- (١) ليفي بروفنسال: سلسلة محاضرات عامة في الأدب العربي: ص ١٤ ط. القاهرة ١٩٥١.  
(٢) المصدر نفسه: ص ٤٩.  
(٣) طوق الحمامة: ص ٨٤.  
(٤) ديوان ابن عمار: ص ٣٩ - وانظر د. صلاح خالص. محمد بن عمار دراسة أدبية: ص ٦٣. مطبعة الهدى - بغداد - ١٩٥٧.

قالوا أَضْرَبِكَ الهوى فَأَجَبْتَهُمْ

يا حبذاهُ وَحَبِذَا أضرارُهُ

ونجد الآخر قد اعترف بذلّه قائلاً : [الخفيف]<sup>(١)</sup>

كلُّ عَتَبٍ سمعتُ منها ومَنِي فهُوَ منها ذُلٌّ ومَنِي ذُلٌّ

أما ابن زيدون فيرى أنّ ذلّه صارَ مضرِباً للأمثال<sup>(٢)</sup> : [الرملة]

أنا راضٍ بالذي يرضُ به صارَ ذلِّي في هواهُ مَثَلًا

ونراهُ يقول في الغرضِ نفسه<sup>(٣)</sup> : [الكامل]

كنتِ المنى فأذقتني غُصَصَ الأذى ياليتني ما فُهِتُ فيكَ بـ (ليتني)

أما يوسف بن هارون المتوفي (٤٠٣هـ) ، فلذلتُه يُظلمُ ويُقدّمُ اعتذارَهُ

قائلاً<sup>(٤)</sup> : [البيسط]

ظلمتني ثم إنني جئتُ معترِفاً يكفيك أني مَظْلومٌ ومعترِفاً

ويبدو أن التذلل للحبيبة أصبح سنةً في الأندلس أو قانوناً سار عليه السابقون

واللاحقون من العشاق، يقول ابن حزم<sup>(٥)</sup> : [الكامل]

لا تعجبوا من ذلتي في حالة قد ذلَّ فيها قبلي المستتصرُ

ليس الحبيبُ مماثلاً ومكافياً فيكون صبرك ذلّةً إذ تصبرُ

(١) ديوان ابن حمد يس : ص ٣٥٢ .

(٢) الديوان : ص ١٦٥ - نديم مرعشلي .

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٢١٩ .

(٤) شعر الرمادي يوسف بن هارون : ص ٦٩ . جمعه ماهر زهير جرار - ط - الأولى ١٩٨٠

ببيروت .

(٥) طوق الحمامة : ص ٨٤ ، المستتصر اشارة إلى الخليفة الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الناصر

وهيمامه بـ (صبح) أم هشام المؤيد ، وقد توفي الحكم المستتصر سنة (٣٦٦هـ) .

ويصوّر لنا شاعر آخر غبن حقوقه ، فيكثر من التضرع والدعاء للخالق  
ليرق قلب الحبيب وينصفه قائلاً: [المنسرح] (١)

مَنْ لا أَسْمِي ولا أَبُوخُ بِهِ      أَمْلِحَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَمْوَى  
وَلِي حَقُوقٌ فِي الحُبِّ ظَاهِرَةٌ      لَكِنَّ الْفِي يُعِدُّهَا دَعْوَى  
يا رَبِّ إِنَّ الرِّسُولَ أَحْسَنَ بِي      ياربُّ فاحفظني من الأسوا

فلا بد لنا أن نقف وقفة قصيرة أمام هذه الأشعار لنذكر الظاهرة الحضارية  
التي استطاعت أن تفرض أوثقها على الملوك والوزراء وتتحدى حبهم وتذلهم مع  
الإصرار.

### الصورة المادية للحبيبة :-

لقد صوّر الشاعر في غزله المادي محاسن المرأة، وموطن الإفتتان بها  
والحنين إليها والجري وراءها. فتحدث عن سهام الألفاظ (٢). وطيب الأنفاس وسلافة  
الرضاب وجمال الثغور (٣). ونرجس العيون (٤)، وميس القدود (٥). ملتحفاً بالتأثير و

(١) ديوان ابن شهيد : ص ١٧١ جمع وتحقيق يعقوب زكي مراجعة.

الرمادي : يوسف بن هارون يكنى بأبي عمر شاعر من مقدمي شعراء الحكم المستنصر ومن  
مداح المنصور بن أبي عامر، أكثر من وصف الطبيعة والغلمان وأدوات الحضارة أنظر شعر  
الرمادي (يوسف بن هارون): ص ١٦-٤١ جمعة وقدم له ماهر زهير جرار - ط الأولى  
١٩٨٠ م.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٨٩ تحقيق كامل وخليفة. ديوان ابن حمد يس: ص ٤٨٧ شعر ابن  
اللبانة: ص ٥٤. الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٣٨١ فصل - ابن عمار - الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢٥  
- ترجمة المائة الخامسة. ابن عبدون: مجلة الأدبية : ص ٧٣ عدد ٢ سنة ٧٩ ط دار  
الجمهورية.

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٢٠٢. ديوان ابن حمد يس: ص ٢٨٨ ، ص ٣١٥ شعر ابن اللبانه:  
ص ٥٣. الحلة السيرة : ج ٢ ص ١٦.

(٤) شعر الرمادي : ص ٦٨ - ٧٨. طوق الحمامة: ص ١١٢. شعر ابن اللبانه ص ٨١. ديوان ابن  
عمار : ص ٢٥٢. قلائد العقيان: ص ٨٤.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ٢٧٧. تحقيق كامل وخليفة. ديوان ابن عمار : ص ٦٦ ديوان ابن حمد  
يس: ص ٤٨٧. ديوان ابن خفاجة: ص ٢٢٣-٢٨٠.

الإنفعال متفاوتاً على حسب موقف الوصال. فجاء شعره مترقراً بما يَخْتَلِجُ في قلبه من عواطف الحبِّ الجسديِّ والإعجابِ الحسيِّ، فتفنَّنَ في وصف المرأة الحبيبة، كما وصف خلواته معها، خيالاً وحقيقة.

ومن الشعراء الذين وصفوا لقاء الحبيبة طيفاً، فرسم لنا زيارته لها وهي في مضجعها فتمتّع برونق ضمها. ووصف ما دار بينهما من حديث على طريقة المجبين قائلاً<sup>(١)</sup>: [البسيط]

يا رَبِّ ربةِ خِدرٍ زرتُ مضجِعَها      (....) والدجى الغريب معتبر  
ضممتُها ضمَّ مشتاقٍ إلى كيدي      حتى توهمتُ أنّ الحليَّ ينكسرُ  
تعجبتُ من ضنى جسمي فقلتُ لها:      على هواكِ فقالت: عندي الخبرُ

وقال في قطعة أخرى. يصور زيارتها له في طيفه فيقضي وَطْرَهُ من لثمِ ثغرها واستنشاقِ عطرها<sup>(٢)</sup>. [السريع]

وازرني طيفُ خيالٍ لهم      فألحفَ الليلُ رداءَ الصباحِ  
سقاني الخمرة من ريقه      وقام لي من بَرْدِ بالأفاحِ  
يا طاعنِ الخيلِ غداةِ الوغي      طاعنكُ النهْدُ فائقِ السلاحِ

ويواصل أبو بكر ابن اللبانة حبيته حقيقة .. مبدياً في غزله المادي، الصدق في التصوير لأحاسيسه وإنفعالاته تجاه المحبوبة. ربما لكرمها وجودها. يقول: [الكامل]<sup>(٣)</sup>

جادتُ عليَّ بوصلها فكأنه      جدوى يديه على المقلِّ المقترِ  
ولثمتُ فاهها فاعتقدتُ بأنني      من كفه سوغتُ لثمِ الخنصرِ

(١) شعر ابن اللبانة : ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٠ - ٣١.

(٣) ص ١٠٤

سَمَحَتْ بِتَعْنِيفِي فَقَلَّتْ صَنِيعَةً      سَمَحَتْ عِلَاهُ بِهَا فَلَمْ تَتَعَذَّرِ  
نَهْدًا كَقَسْوَةِ قَلْبِهِ فِي مَعْرَكِ      وَحَشَا كَلِينَ طِبَاعَةَ فِي مُحَضَّرِ

وقد جعل ابن حزم للوصل الخفي نشوه ولذة (أن للوصل المختلس الذي يُخَانِلُ به الرقباءُ، وَيَتَحَفَّظُ به من الحُضْرِ. مِثْلُ الضَّحِكِ الْمَسْتَوْرِ .. والنحنحة. وجولان الأيدي. والضغط بالأجناب. والقرص باليد والرجل. لموقعاً من النفس شهياً) وفيه يقول: [الخفيف] (١)

إِنَّ لِلْوَصُولِ الْخَفِيِّ مَحَلًّا      لَيْسَ لِلْوَصُولِ الْمَكِينِ الْجَائِي  
لَذَّةَ أَمْزَجْهَا بَارْتِقَابِ      كَمَسِيرِ فِي خِلَالِ النَّقْيِ

إن النظرية المادية للحبيبة صورها أغلب الشعراء بلمسة جسد. وثمة فم ، وضمه خصر. ونظرة عين. فيروي ما في قلبه من نبضات حبٍ ويشفي غليلاً ومنهم من صورها لنا تأجج النيران واضطرامها في القلب كالنار المستعرة، ومنهم من صورها نفثات وزفرات يبثها قلبه الشاكي. ومن المعروف أن صاحب النظرية المادية في الحب يجد اللوعة في قلبه من ذلك الحب، ويبدو ان الرجل في غزله المادي بالمرأة يصورها صورة منتزعة، مما تقع عليه عينه من جمال مادي وما يسبغها عليها من عالم الطبيعة من تشبيهات وأوصاف حسية منبعثة من شهوته الدائمة في القلب.

ويقول: عيسى سابا عن العرب إنهم (لم يعرفوا من الغزل بمعناه ولم يتذوقوه إلا وفي القلب نزوة. وهو أمرٌ طبيعي، ولولا هذه النزوة ما عُرف فنُّ الغزل ولما وُجد بطريق الشوق والإشتهاء، فكان جسدياً ثم تعالَى روحياً وترَفَعَ فكراً) (٢).

وَنَجِدُ هُنَيْدًا أَوْجَعَتْ قَلْبَ عَاشِقِهَا فَارْسَلَتْ أَنْفَاسَهُ إِلَيْهَا مَمْتَرَجَةً بِدُمُوعِهِ الْمَنْهَمِرَةِ حَزْنَاً لِفِرَاقِهَا، وَيَبْدُو أَنَّهَا كَانَتْ أَمْنِيَّتَهُ، لَذَا أَصْبَحَ دَائِمَ التَّفَكِيرِ بِهَا يَقُولُ (٣): [البسيط]

(١) طوق الحمامة: ص ١١٧.

(٢) عبي ميخائيل سابا: غزل النساء: ص ٢٤ - ط ١٠ بيروت ١٩٥٣ - دار العلم للملايين.

(٣) شعر ابن خفاجة: ص ١٥٨ تحقيق وشرح كرم البستاني - مكتبة صادر بيروت مطبعة المناهل ١٩٥١:

يا مَنِيَّةَ النَّفْسِ حَسْبِي ، من تَشْكِيكَ  
هُنَيْدٌ أَوْجَعَتْ قَلْبًا قَدْ أَقَمْتَ بِهِ  
فَإِنْ كُلَّ نَسِيمٍ ، خَاضَةَ أَرْجُ  
أَنِّي أُصَابُ وَكَفَّ السُّدُورَ تَرْمِيكَ  
مَا بِالْطَّرْفِي ، وَمَا يُدْرِيكَ ، يَبْكِيكَ  
رَسُولُ شَوْقٍ ، أَتَى عَنِّي يُحْيِيكَ

وكلما قَرَّبْتُ دَنُوَ الحبيب من حبيبتِه إزداد شوقاً لوصولها ولووعة بها وفيها  
يقول ابن حزم<sup>(١)</sup> (ولقد ضممني مجلسٌ مع بعض من كنتُ أحب. فلم أجل خاطري في  
فن من فنون الوصل. إلا وجدته مَقْصُراً عن مرادي، وغير شافٍ وَجْدِي. ولا قاضي  
أقلُّ لُبَانَةٍ من لباناتي<sup>(٢)</sup>). ووجدتني كلما ازددتُ دَنُوًا ازددتُ وِلْوُوعًا. وقدحت زناد  
الشوق نار الوجد بين ضلوعي).

وينقل لنا صورة لفتاة جارية لا يستطيع العيش بدونها وخلوته معها كانت في  
جَنَحِ الظلام قائلاً: [الطويل]<sup>(٣)</sup>

خَلُوتُ بِهَا وَالرَّاحُ ثَالِثَةٌ لَهَا      وَجَنَحُ ظِلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ مَا أَنْبَلِجُ  
فَتَاةٌ عَدِمَتْ العَيْشَ إِلَّا بِقُرْبِهَا      فَهَلْ فِي إِبْتِغَاءِ العَيْشِ وَيْحُكَ مِنْ حَرَجِ

ولأبن حزم قطع كثيرة في التغزل بالجواري والتغني بصفاتهن والشوق إليهن  
ووصف أجسامهن بعبارات رشيقة والفاظ أنيقة، وإنسيابية لينة ودقيقة. في كتابة طوق  
الحمامة .. يقول<sup>(٤)</sup> في وصف شوقه: [الطويل]

سَقَى اللهُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلِيَالِيَا      تُحَاكِي لَنَا النَّيْلُوفَرَ<sup>(٥)</sup> العَضَّ فِي النَّشْرِ  
لَهُونَا بِهَا فِي غَمْرَةٍ وَتَأَلَّفِ      تَمْرٌ فَلَا تَنْدُرِي وَتَأْتِي فَلَا نَدْرِي

(١) طوق الحمامة : ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) لبانة جمعها لبانات: الحاجة التي تتعلق بها همة الإنسان.

(٣) طوق الحمامة : ص ٤١.

(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٢.

(٥) النيلوفر : (يكسر النون) نبات مائي ذو ورق كبير مستدير. يعوم على صفحة الماء ومنه أنواع  
تنبت في الأنهار والمناقع، وأنواع تزرع في الأحواض لجمال أوراقها وزهورها.

فأعقبنا منه زمان كأنه ولا شك، حُسنُ العقد أعقب بالصدر

ويقول في حبه لجارية: <sup>(١)</sup> [المتقارب]

جَرَى الحَبُّ مِنِّي مَجْرَى النَّفْسِ وَأَعْطَيْتُ عَيْنِي عِنَانَ الْفَرَسِ  
فَقَبِّلْتُهُ طَالِباً رَاحَةً فَرَاذَ أَلْيَلًا بِقَلْبِي الْيَبَسِ <sup>(٢)</sup>  
وكان فؤادي كنبت هشيم يبيس رمى فيه رام قبس

ونجد ابن عبدون <sup>(٣)</sup> يجسدُ الحبَّ من نظرة واحدة تلك النظرة جَرحت فؤاده فأردته قتيلاً : وقد قيل النظرة الأولى لك والثانية عليك، فشعرنا بنظرته الحسية قائلاً:  
[الطويل]

وما أنسَ بين النهرِ والقصرِ وقفةً نَشَدْتُ بِهَا مَا ضَلَّ مِنْ شَارِدِ الحَبِّ  
رَمَيْتُ بِلِحْظِي رَمِيَّةً سَنَحْتُ بِهِ فَلَمْ أَنْتَبِهْ إِلَّا وَمَجْرُوخُهَا قَلْبِي

أما الرمادي فكان أكثر الشعراء تغزلاً ووصفا للقاءات المادية. علماً أنه قد اشتهر بحبه لجارية تدعى خلوه (أخذت بمجاميع قلبه وتخلل حُبها جميع أعضائه) <sup>(٤)</sup>. ولم يظفر بها. فنجدُه يبعثُ قطعاً غزليّة مصوراً جسدَ الحبيبة وجمال ساقِها وبياض معصمها <sup>(٥)</sup> قائلاً: [الطويل]

وأقربُ عهدِ رشفةً بلَّت الحشا فعادَ شتاءً بارداً وهو صَيِّفُ  
وكانت على خوفٍ فولت كأنها من الردفِ في قيدِ الخلاخلِ ترشِفُ  
بمعصمِ كافورِ بياضاً، تكنهُ بغالِيبةٍ من صِيغَةٍ وتُطرفُ

(١) طوق الحمامة: ص ١١١.

(٢) أليلاً: بتشديد اللام) المريض ليلاً

(٣) ابن عبدون: مجلة الادبية: ص ٧٣ عدد ٢ لسنة ٦٩.

(٤) شعر الرمادي : ص ٢٥ وانظر أخباره معها في جذوة المقتبس ص ٣٤٧.

(٥) شعر الرمادي: ص ٢٦.

أما ابنُ زيدون فقد وصَفَ المحبوبةَ في إطارِ غراميٍّ واقعيٍّ وظلَّ تجربةَ صادقةٍ فجاءت صورُها مثلاً للغزلِ الماديِّ بالحرائرِ حيثُ يُتذكَّرُ الوصالُ الرائعُ في تلكِ الروضةِ الغناء قائلًا: [البسيط] (١)

أذكَرْتَنِي سَالِفَ العَيْشِ الَّذِي طَابَا      يَا لَيْتَ غَائِبَ ذَاكَ العَهْدِ قَدِ آبَا  
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلوَصْلِ نَعْمَهَا      مِنْ السُّرُورِ غَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا  
كَمْ نَظْرَةٌ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتُ بِهَا      يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنْ القَلْبَ قَدِ ذَابَا

وقد بعث الشاعر لوعته الصادقة لفراق هذه الحبيبة التي لا شبيه لها في حسنها وجمالها فتغزل بـ(فيها) ورضا بها - ويخصرُها المتناهي في الصغر قائلًا: [البسيط] (٢)

كَيْفَ إِصْطَبَارِي وَفِي كَانُونِ فَارَقْتَنِي      قَلْبِي وَهَا نَحْنُ فِي أَعْقَابِ تَشْرِينِ  
شَخْصٌ يُذَكِّرُنِي فَأَهْ وَغُرَّتْهُ      شَمْسَ النَّهَارِ وَأَنْفَاسَ الرِّيَّاحِينِ  
لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرِّضَابِ فَكَمْ      قَدِ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِينِي فَيْرُونِي

وقال يصف دقة خصر المحبوب ونحوه: [البسيط] (٣)

أَوْ حَلَّ عَقْدٌ (٤) عَزَائِي نَائِيَةً فَالْكَمْ      حَلَّتْ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينِ (٥)

ويعلق محقق الديوان كامل الكيلاني على هذا الخصر الذي وصفه ابن زيدون، (يدق في الوهم ، ويلطف في الخيال والحس، إلى حدِّ أننا لا نعثرُ له على

(١) ديوان ابن زيدون: ص ٢٧٦. تحقيق كامل وخليفة.

(٢) ديوان ابن زيدون ص ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٤) عقد عزائي: العقد ضد الحل، والعزاء: الصبر.

(٥) عقد الثمانين: أحد عقد الأصابع التي يفهم بها عدد الثمانين والإشارة إلى عقد الثمانين تكون يبسطاً لإبهام والسبابة معاً متلاصقين بلا خرجة ظاهرة بينهما.

شبيه ومثيل حتى ولا في خصور الناحلات الرشقات من بنات أوربا وباريس في العصر الحاضر عصر التفنن في الرشاقة، ودقة الخصور والإفراط في تضيق عقد النطاق. (١)

لقد ألهمت ولادة شاعرية (بحثري المغرب كما أطلق عليه نكلسن) (٢) فأصدر أروع القصائد واصفاً فيها الجوانب الروحية والمادية. فتشاهد لوحة أخرى، وقد تغزل بفتور عينيها ورشاقته وجمال قدها وهضم خصرها، وأناقته فجاءت أشبه بظبي ريع لإنفراده عن سائر الطباء قائلًا: [الطويل] (٣)

أناة <sup>(٤)</sup> عليها من سنا البدر مبسم	وفيهما من الغصن النضير شمائل
يجول وشاحاها على خيزرانة	وتشرق في (موشيتين) الخلاخل
وليلة وافقتا الكتيب لموعده	كما ريع وسنان العشيات خاذل <sup>(٥)</sup>
تهادي إنسياب الأيم يعفو إثارها	من الوش مرقوم العطافين ذائل <sup>(٦)</sup>

(١) ديان ابن زيدون: انظر هامش ص ١٠٩ - ١١٠.

(١)Nicholsons. R.A: Aliteray History of the Arabs the University Press, cambridge ١٩٥٦, P.٤١٩.

نقلا عن شعر المعتمد : ص ٨٠ . زهدي يكن .

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ١٠٠ .

(٤) الإناء: المرأة التي فيها فتور عن القيام.

(٥) ريع: فزع لا مر مفاجئ. والخاذل: من خذلت الظبية فهي خاذل تخلفت عن صواحبه وانفردت.

(٦) الأيم والأين: الحية.

العطاف: ثوب كالرداء والطيلساء. والمرقوم ذو الوشي والنقش أو المكتوب عليه رقم التاجر .  
ذائل : ذو الذيل . أو هو مشي سريع خفيف وبه سمي الذئب ذواله.

فهذه أحوال الحبيبة وصورتها التي استقرت في نفوس الشعراء ، ربما تأثرت  
أو هي أقرب إلى صورة المرأة العربية المشرقية...

### الصورة المعنوية للحبيبة :-

صوّر الشعراء الحبيبة في اشعارهم وكأنها من طبقة راقية، ذات جاه ونسب،  
ويدت منعمة مرفهة مخدومة، يقول ابو بكر الداني المشهور بابن اللبانة المتوفى  
(٥٠٧هـ) : [السريع]<sup>(١)</sup>

يَخْدُمُهَا كُلُّ كَمِيٍّ لَهُ      وَجَهُ حَبِيٍّ وَفِؤَادٌ وَقَاخُ  
مُرَهَّقَةٌ نَارٌ وَفَضَافُضَةٌ      مَاءٌ، وَبَيْنَ الْحَالَتَيْنِ أَصْطِلَاخُ

وطبقتها التي تميزت في المجد والشرف، والحسب والنسب، والسلطان والجاه  
والملك. ولحياة الرفاه والعز التي أحيتها الحبيبة . يتصور الشاعر أنه غير كفؤ لها،  
ولكنه تكافأ معها في المودة، قائلاً: <sup>(٢)</sup> [البسيط].

ماضراً أن لم تكن أكفاه شرفاً      وفي المودّة كافٍ من تكافينا  
وتبدو صاحبة ابن شهيد رقيقة الخاطر لكونها امرأة منعمة يقول: <sup>(٣)</sup>  
[المتقارب]

كُتِبَتْ لَهَا أَنِّي عَاشِقٌ      عَلَى مُهْرَقِ الْكَيْمِ بِالنَّاطِرِ  
مَنْعَمَةٌ نَطَقَتْ بِالْجَفُونَ      فَدَلَّتْ عَلَى رِقَةِ الْخَاطِرِ

ومن الصفات المعنوية التي تناولها الشعراء وعتوا بها الحبيبة الصد والهجر  
والجفاء. ربما لكونها حرة والحرّة صعبة المنال.

(١) انظر د. محمد مجيد السعيد : شعر ابن اللبانة الداني : ص ٣٢. ط ١٩٧٧م.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص ٧ كامل وخليفة.

(٣) ديوان ابن شهيد : ص ١٦٠.

ويبدو الهجر صفة معنوية ملازمة للحبيبة العذراء يقول ابن حمديس<sup>(١)</sup>:

[البسيط]

إلى متى منكم هجري وإقصائي      وتلي وجدتُ أحبائي كأعدائي  
أعيا عليّ، وعذري لاخفاء به      رياضة الصعب من أخلاقِ عذراءِ

ومثله قوله في الصد وقلة الوفاء، وقد جاء التشبيه بصيغة حقيقية واقعية

لطيفة: [المنسرح]<sup>(٢)</sup>

لم أسل عنه وقد سلا عني      فالذنبُ منه وضدّه مني  
فاليومُ يفرُّ من ملاحظتي      كنفارِ إنسي من الجنِّ

وقد يقتنع الحبيب بالطيف مكثفياً بالذكر إذا كانت الحبيبة صعبة المنال قائلاً:

[البسيط]<sup>(٣)</sup>

أولي وفاء وإن لم تبدلي صيلةً      فالطيفُ يقنعنا والذكرُ يكفينا

ومن الصفات المعنوية التي اتسمت بها الحبيبة الخجل والرزانة يقول ابن

زيدون: [البسيط]<sup>(٤)</sup>

عيناه مطلوبةٌ في ثأرٍ من قتلتُ      فلستَ تلقاه إلا خائفاً وجلا

وكثيراً ما أدان الشاعر الحبيبة لقلة الوفاء ، ونكت العهد يقول ابن زيدون:<sup>(٥)</sup>

[الطويل]

أجدُّ ومن أهواه في الحبِّ عابثُ      وأوفي له بالعهدِ ، إذ هو ناكثُ

(١) الديوان : ص ١

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٩٢.

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٩٥ تحقيق نديم مرعشلي.

(٤) نور الدين بن سعيد: المرقصات والمطربات: ص ٢٢٤ ط - ٢ - القاهرة ١٩٧٣.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ٧٠ نديم مرعشلي.

حبيبة ناي عني مع القرب والاسى مقيم له في مضمير القلب ماكنث

ويصتور لنا ابن حمد يس الحبيبة التي لا تحافظ على المواعيد قائلاً: [الرمل] (١)

عادة أن نيط فيها موعدٌ      بغد فرأى إلى ما بعد غد

وصور لنا المعتضد المتوفي (٤٦١هـ) الحبيبة الخالية البال ، التي تمام ملء جفيناها  
قائلاً: (٢) [المتقارب]

تمام ومُد نفها يسهرُ      وتَصْبُرُ عنه ولا يصيرُ

وقد رسم لنا ابن زيدون صورة معنوية جميلة للحبيبة الأندلسية التي ملأت عليه حياته  
وسدت كل فراغة: [البسيط] (٣)

يا مَنْ غدوتُ به في الناس مُشتهراً      قلبي عَلَيْكَ يَفَاسِي التَّهَمَّ والفِكرَا  
إِنْ غَبْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤَنِّسُنِي      وَإِنْ حَضَرْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَا

ولعل من الميزات المعنوية العظيمة التي اتسمت بها المرأة الحبيبة هي  
تشجيع الرجل على السعي والجد والمثابرة يقول الحكيم أبو الصلت امية المتوفي  
(٥٢٩هـ) (٤) [الطويل]

وقائلة سر وابتغ الرزق طائفاً      فانك فيما لا يقيد لطائف (٥)  
فقلت: ذريني ، ربّ ساعٍ مخيبٍ      والله في كلّ الأمور لطائف

(١) أنديمان : ص ١٣٨ .

(٢) اللحة السبراء : ج ٢ ص ٤٨ . ولنظر ديوان ابن زيدون : ص ٣٧٤ كامل وخليفة .

(٣) ديوان ابن زيدون : ٢٦٧ كامل وخليفة .

(٤) المعتمد بن عباد : أورثناهم الحبيبة عن أبيه سنة (٤٦٠هـ) فوسّع رفعتها حتى أصبحوا أئمة .

أمير من ملوك الطوائف ، وكان قاسياً غليظ القلب ، ولكنه كان شاعراً يجزل العطاء ويكرم  
الشعراء توفي ٤٦١هـ .

(٥) الديوان : ص ١٢٤ .

وقد صور الشعراء الحبيبة بأنها العلقُ النفيس ، الأعظمُ رفعةً والأكثرُ سناءً. قال ابن زيدون: [البسيط] (١)

يا علقى الأخطرَ الأسنى الحبيب إلى نفسي إذا ما اقتني الأحيابُ إعلاقا  
فالآن أحمدُ ما كنا لعهدكم سلوتُمُ وبقينا نحنُ عشاقا

وقد يسعد المحب باسم الحبيبة وربما اتخذها لقباً لنفسه وصفةً بين الملوك وقد جعله لقبه الرّسمي في تاريخ<sup>(٢)</sup> بني عباد. يقول المعتمد بن عباد<sup>(٣)</sup>: -

دَسَسْتُ إِسْمَكَ الحُلُو فِي طَيْبِهِ وَأَلْفَتُ مِنْهُ حُرُوفَ إِعْتِمَادِ

سجّل الشاعر للحبيبة صورة صادقة ومتخيلة، وفي الحالتين صورها إنسانة لا يستطيع أن يحيا بغيرها ولا يجد السعادة بدونها فصوّر بقربها الجنة والسعادة والرضا والنعيم وبفراقها الألم والبؤس والحرمان والشقاء والعذاب، وقد صورها شريكة الحياة تمنح الرجل العطاء المعنوي كما تمنحه الدفء والإطمئنان، ذلك لأنها جمعت بين جمال الخلق والخلق، جمعت بين الجمال والذكاء، وحلاوة النادرة والظرف لذا نجدها حاربت بسيفين مرهفين فملك قلب معشوقها واستأثرت بنهاه. إن أكثر ملوك الطوائف ووزرائهم كانوا شعراء. وكان حبهم لنساء على مستوى رفيع في الجمال والبراعة والبيان. والشاعر الذي يهوى فتاة أديبة ينعم مرتين؛ بنعم الحب، وبالشعرَ ويعرفُ مسبقاً أنه يوجه أنغامه إلى أذنٍ تسمع وقلب يتذوق. فجاءت صورة الحبيبة تحفةً إنسانية صادقة . ولكنها نبعت من قلب المحب ومن عقله لذا ظلت خالدة على مرّ العصور.

(١) ديوان ابن زيدون : ص ١٥٣.

(٢) الأخطر: الرفيع ، الأسنى : الأكثر إنارة

(٣) الحلة السبراء: ص ٣٥٨.

ديوان المعتمد بن عباد : ص ٨ تحقيق أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد.

المبحث السادس  
صورة الجارية

oboi.kandi.com

## الأمة:

والأمة في المجتمع الأندلسي هي المملوكةُ خلافُ الحرّة، وفي التهذيب المرأة ذات العبودية (المستعبدة) وجمع الأمة أموات وإماء وآم وإموان وأموان ويجوز أمات. (١)(٢)

والأماء: الجوارى اللاتي يمتهن الخدمة وربما ممن لا يصلحن للتسليّة والمتعة ومشاغلهن في الأعمال المرهقة والأعمال الضعيفة. وطريقة الحصول عليهن من السبي (٣) والسلب (٤) أو البيع في الأسواق، أو (يقدمن كهدايا) (٥) لخدمة الزوجات والخيليات والتابعات (٦). وهناك دار لبيع البنات (٧).

وأطلقت لفظة أمة على الجارية التي بمتهن الغناء أو الجارية التي تمتهن الرقص. ويبدو أنّ الأمة عند بعض الناس كانت محترمة (٨).  
وقيل إن الأمة تشتري بالعين وتُرد بالعيب، والحرّة غلٌ في عنق من صارت إليه (٩). فكانت تنتقل ملكيتها شأنها شأن المواد الأخرى، ولا تستطيع أن تقف بوجه

- 
- (١) ابن منظور: لسان العرب م ١٤ ص ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ط. بيروت ١٩٥٦ م دار صادر - للطباعة والنشر. وانظر المخصص: ج ٥ ص ٨٣.
  - (٢) د. صلاح خالص: اشبيلية في القرن الخامس: ص ٩٧ - ٩٨.
  - (٣) الإحاطة في أخبار غرناطة: ج ٢ ص ١٣٢.
  - (٤) البيان المغرب: ج ٢ ص ٣١٣.
  - (٥) الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ٢٢.
  - (٦) المرأة عبر العصور: ص ٥١.
  - (٧) البيان المغرب: ج ٣ ص ٨١.
  - (٨) انظر الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٧٠٧.
  - (٩) المعقد الفريد: ج ٦ ص ١٢٨.
- إن تكروا ذلك تلقوا ظلمة.

سيدها. وكان لهن دورٌ تباغ فيها القيان وتسمى (بدور المذنبات) لذا أصبحت تجارتهن رائجة وأسواقهن عامرة ببيعهن.

وأرجوزة الأديب أبي عبد الله بن مسعود وضحت لنا صورة الجارية المملوكة التي وهبها سيدها إلى الوزير ابن بقة وضاعت حالها بين يديه فجاءت - على لسانها - صورة قد تمثل وضع الجواري الأندلسيات ، يقول<sup>(١)</sup>: [الرجز]

وهبتني لأوحد مُنقطعِ      في القبحِ والفقرِ حميَّ الموضعِ  
ولم يُبن لي بهذا العيب      من فقره حتى دهى بالشيبِ

ويبدو إن الأمة المملوكة إذا وهبت لرجل قبيح المنظر مذموم السيرة تشعر معه بالذلّ والهوان والأسر، وتكون حياتها منغصة<sup>(٢)</sup>: [الرجز]

جعلتني أسيرةً مملوكة      لطلعة هائلةٍ صعلوكة  
يعزي على الغالِ إلى مسعودِ      وهو شقيُّ ليس بالمحمودِ

ولم تتحقق أمنيته التي كانت قد أخفقت فيها كونها لم تكن ضمن جواري المتعة. المنعمات. المرفهات. تحت ظلّ أسيادهن فذهبت أمنيته هباءً بعد أن صدمها

(١) الذخيرة : ق ١ م ١ ص ٥٥٢.

\* أبو عبد الله بن مسعود القرطبي: شاعر ماجن قال عنه ابن بسام ظريف في أمره كثير الهزل في نظمه ونثره، ينهج في مجونه منهج سميّه، من شعراء القرن الخامس الهجري. انظر الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٥٤٩.

\* الوزير ابن بقة : لم أجد له ترجمة. يقول محقق الذخيرة. د. احسان عباس ورد هذا الاسم عند الحديث عن الهدية التي اهداها ابن شهيد إلى عبد الرحمن الناصر. وهذا المذكور هنا قد يكون ابناً وحفيد له. انظر هامش الذخيرة : ق ١ م ١ ص ٥٥٢.

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

سيدها فجعلها ضمن جوارى الخدمة فأصبحت عاملة في صناعة الغزل ، يقول  
(١): [أرجوزة]

وكنت أرجو معة للراحة      إذا لم يقز بطائل الملاحه  
إذا به أنخاني في شغل      لفرط الأمام بسوق الغزل

والجارية في مدة ملوك الطوائف بلغت مرتبة من الوعي السياسي والوطني  
يتضح لنا ذلك من أمانيتها. فقد تمننت أن يكون سيدها أحد الجنود الأبطال الحائز على  
شرف المجد في الذود والدفاع عن وطنه وربما حصل على وسام البطولة، يقول على  
لسانها(٢): [أرجوزة]

أو ليتني كنت لبعض الجنود      فربما حاز نفيش المجد  
يضرب بالسيف ولا يقاسي      خطه خسف بسؤال الناس

وتبدو الجارية المملوكة وفق هذه المقاييس في البيع والشراء، لا حول لها ولا  
قوة ، أمام إرادة وسطوة سيدها.

إلا أن الجارية غذا أنجبت من سيدها يحتفظ بها، وترتفع مكانتها فلا تباع ولا  
تشتري وتسمى جارية (أم ولد) (٣). وفي تاريخ الأندلس تطالعنا أسماء لامعة لأمهات  
الأولاد كـ (أثل) (٤) والدة (المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم). و(مزنة)  
والدة الناصر لدين الله - التي عرفت بالعرجاء ، لخلع بها(٥). و(صبح) (٦) والدة هشام  
المؤيد التي كانت أعظمهن نفوذاً، وغيرهن من أمهات الأولاد. وتطالعنا الجارية (أم

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٢) الذخيرة : ق ١ م ١ ص ٥٥٢.

(٣) انظر اسماء أمهات الأولاد في البيان المغرب : ج ٣ ص ٥٠ وما بعدها.

(٤) انظر جذوة المقتبس : ص ٤٠.

(٥) جذوة المقتبس : ص ٤٠ . البيان المغرب : ج ٣ ص ٥٠.

(٦) جذوة المقتبس : ص ٤٠.

ولد) في عصر الطوائف أما للملوك والوزراء أيضاً كـ(حوراء)<sup>(١)</sup> والدة محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله. وهي جارية أم ولد. و(عاتب)<sup>(٢)</sup> والدة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. بينما يقول الأصمعي (كانت بنو أمية لا يتابع لبني أمهات الأولاد، فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم، ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد)<sup>(٣)</sup>. لذا نجد حال الجارية أم ولد في الأندلس أحسن بكثير من حالها في المشرق. وربما تعرض ابن الأمة عندهم إلى استهجان الناس له ولحقه عارها فقد قال الشاعر<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

أما الإمام فلا يدعوتني ولداً إذا ترامى بنو الأموان بالعار

بينما نجد ابن الحرّة ظلّ موطن فخر وإعتزاز، يقول ابن دراج القسطلي (٤٢١هـ)<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

وقد عَجَمْتُ مَنِيَّ الخُطُوبُ ابْنَ حَرَّةٍ  
جديراً إذا أكدى الزمانُ برحلةٍ  
أَيِّباً محزاني لوِقع مُداها  
يُحَقِّرُ بَعْدَ الأَرْضِ عَرَضُ فِلاها

### علاقة الجارية بالرجال :-

إن لجواري الأندلس عالم خاص بهن، وما قيل فيهن من أشعار وما جاءنا من أخبارهن وحظوتهن عند أسيادهن، أكبر دليل على أنهن استطعن أن يُؤثِّرْنَ في الرجال تأثيراً عميقاً.

(١) البيان الغرب: جـ ٣ ص ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه: جـ ٣ ص ١٤٥.

(٣) العقد الفريد : جـ ٦ ص ١٢٩ - ١٣١.

(٤) المخصص: جـ ٥ ص ٨٣. لسان العرب : م ١٤ ص ٤٥ . وقد خلت المصادر باسم الشاعر.

(٥) الديوان : ص ١٢ . ط. الأولى تحقيق د. محمود علي مكي .

ولم تعد الجارية متعة جسدية فحسب بل أصبحت عند بعضهم حاجة روحية ،  
ولهفة عقلية وفكرية كما أصبحت ذات شأن في تدبير وإدارة عقول الملوك ، فلم تغد  
صلتها بهم صلة أنس، ونديمة خمر، تدخل البهجة والسرور إلى نفسه ونفوس نداماه.

وبعد أن ألقينا نظرة على وضع هذه المخلوقة قبل عصر الطوائف أدركنا  
مكانتها التي كانت بين مدّ وجزر. فعلى سبيل المثال إن الجارية التي خلفها طارق بن  
زياد في الجزيرة سميت فيما بعد بجزيرة أم حكيم نسبة إليها<sup>(١)</sup>. إلا أن (عبد  
الرحمن<sup>(٢)</sup>) مؤسس الدولة الأموية في الأندلس كان إذا أهداه أحد جارية ردها إليه<sup>(٣)</sup>.  
على حين نجد لـ(طروب) مكانة متميزة تمتعت بها عند سيدها<sup>(٤)</sup> عبد الرحمن  
الأوسط.

ويؤيد الدكتور مصطفى الشكعة<sup>(٥)</sup> ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز سالم أن  
قصة بناء الزهراء سيقّت من إنشاء خيال المؤرخين ويستبعد أن أميراً عظيماً  
كالناصر يقع أسيراً لجارية من جواريه الكثيرات ولكننا لا نستبعد ذلك بعد أن عرفنا  
قصصهنّ مع الرجال من أمراء وخلفاء وملوك، مع اعترافهم بأنهن قد خلبنّ الباطن،  
وليس على وجه الأرض أحسن من وجودهن<sup>(٦)</sup>. وقد قتل بعضهم أقرب الناس إليه

(١) انظر الروض المعطار :ص ٢٢٣.

(٢) البيان المغرب: ج ٢ ص ٩٠ - ٩٢.

جزيرة أم حكيم وتسمى بالجزيرة الخضراء. انظر صفة جزيرة الأندلس الأدرسي: ص ١٧٩  
نقلًا عن أطروحة فريدة رؤوف. ص ٣٥، الإمارة الأموية في الأندلس عهد الأمير عبد  
الرحمن الداخل: ١٣٨-١٧٢هـ

والروض المعطار: ص ٧٥، وأخبار مجموعة في فتح الأندلس : ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه : والصفحة نفسها .

(٤) البيان المغرب: ج ٢ ص ٩٢.

(٥) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص ٣٠ - ٣١.

(٦) البيان للمغرب : ج ٢ ص ٩٠ - ٩٢.

بسببهن كـ(قصة الأمير الطليق) المتوفى سنة (٤٠٠هـ) الذي قتل أباه لأنه أحب جارية وانفرد بها والده<sup>(١)</sup>.. ولعظمتهن ومحبتهن تلقب الملوك بأسمائهن<sup>(٢)</sup>. ناهيك عن الأخبار التي ساقها لنا ابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة مؤكداً تضحية الرجال بأنفسهم بسبب عشقهم للجواري والقيان<sup>(٣)</sup>. وذكر لنا أن رجلاً أندلسياً باع جارية كان يجذبها وجداً شديداً لفاقه أصابته بحيث كادت نفسه أن تخرج، وأراد استردادها فأبى المشتري، فرفع قضيته إلى الملك فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحمه وتضرع إليه، فرفق له الملك فأمر باحضار الرجل المبتاع، فلما حضر أبى وقال<sup>(٤)</sup>:

أنا أشدُّ حبّاً لها منه. وأخشى أن صرفتها إليها أن استغيث بك غداً وأنا في أسوأ من حالته فعرض له الملك بالأموال فأبى واعتذر له. فلما يئس الأندلس رمى بنفسه من أعلى الأرض، فارتاع الملك، وطلب من المبتاع أن يرمي بنفسه من أعلى، ولكنه رفض. (فقال: يا غلمان. خذوا بيديه وارموا به إلى الأرض فلما رأى العزيمة قال: أيها الملك، قد طابت نفسي بالجارية. فقال له: جزاك الله خيراً، فاشتراها منه، ودفعها إلى بائعها وانصرف<sup>(٥)</sup>). ويخبرنا عن رجلين جنليين مشهورين مرضا بسبب حبهما للجواري؛ فالأول مروان<sup>(\*)</sup> ابن يحيى<sup>(٦)</sup> الذي اعتلق بجارية لأخيه فمنعها منه،

(١) المغرب : ج ١ ص ١٨٦.

(٢) أعمال الإعلام : ص ١٥٩.

(٣) طوق الحمامة : ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر نفسه ص ١٩٣.

\* مروان بن يحيى بن حدير: ينتمي إلى أسرة أهلمنية تولت عدة مناصب عالية في ميراث القضاء والحكم. أنظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه : ص ١٦٩

وباعها لغيره ، والثاني يحيى بن محمد بن أبي عبدة(\*) ، باعت أمه جارية له ، كان يُحبها وذهبت إلى زواجه من بعض العامريات.

ومنهم من غير دينه وأسلم بسبب حبه لجارية كالوزير<sup>(١)</sup> أبي الفضل بن حسداى الإسلامي فقد ذكر ابن بسام (أن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع إليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه، ووضع زمامها بين يديه)<sup>(٢)</sup>

قلو اسلمنا جدلاً، إن كل هذه الأخبار التي سيقت من إنشاء المؤرخين فسياقها بهذا النهج يدل دلالة قاطعة على النفوذ والسيطرة والحظوة تمتعت بها الجارية عند سيدها.

هذه هي أخبارهن، أما الأشعار فقد ضمت أسماء لكثرة من الجواري المحظيات.

نجد المعتمد بن عباد علي الرغم من توافر الجواري لديه وكثرتهن بين يديه، يتمنى أن يديم الله السقم عليه لتبقي جاريته سحر إلى جانبه تخفف آلامه وأوجاعه، وقد احتلت سحر جزء من قلبه الواسع، ربما لحنانها الفيّاض وعاطفتها الرقيقة، وسحر هذه كشفت عن صفات إنسانية نبيلة تحلت بها الجواري وربما لم تتفرد بها وحدها. فلا بُدَّ لها مثيلات بتلك الخصال يقول<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

سأسألُ ربي أن يُديمَ بيَ الشكوى      تمنيتُ أن تبقىَ بجسمي وأن تقوى  
شكوتُ وسحرٌ قد أغبتُ زيارتي      فقد قرّبتُ من مضجعي الرشا الأهوى

\* بنو عبدة : بيت أندلسي لهم دور هام في تاريخ الأندلس أثناء العهد الأموي وملوك الطوائف.

(١) أنظر ترجمته في قلائد العقيان: ص ٢٠٩- ٢١٢.

(٢) الذخيرة : ق ٣ م ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٣) انظر ديوان المعتمد بن عباد : ص ٢ تحقيق أحمد أحمد بدوي ، وانظر المصدر نفسه:

ص ٧٥٤ تحقيق د. صلاح خالص.

فيا علتي دومي فانت حبيبةً ويا رباً سمعاً من ندائي والشكوى

وربما لحسنهن وتقافتهن ذهبين بالباب أسياذهن<sup>(١)</sup> ومنهن من كانت رائعة الجمال<sup>(٢)</sup>. وقد شاركهن المشرقيات بتلك الصفات<sup>(٣)</sup>.

ويعترف ابن الحداد المتوفى (٤٨٠هـ) بجنونه بسبب حبه لجارية سلبت عقله. ربما لم يطلها.

وقد أطلق الشعراء الكنى على اللواتي أحبوهن فغيروا أسماءهن. وأحب ابن الحداد جارية، ("وكان يسميها" نؤيرة" كما فعله الشعراء الظرفاء قديماً في الكناية عن أحبوه، وتغيير اسم من علقوه)<sup>(٤)</sup>. فقال<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

رأيت جنوني من نؤيرة كاسمها نارا تضل، وكل نار ترشد  
والماء انت، وما يصح لقبابض والنار أنت، وفي الحشا تنوقد

وأرسل زقراته التي أسعرت جوفه بنار نؤيرة المتوقدة يقول<sup>(٦)</sup>: [السريع]

وفي الحشا نار نؤيرية علقتها منذ سنينيات  
لا تنظفي وقتاً وكم رمتها بل تلتظي في كل أوقاتي

وتبدو نؤيرة نصرانية تتردد على الكنائس، ربما لتأدية المراسيم أو لقضاء حاجة أخرى. وقد علق بها في ذلك المكان المقدس يقول<sup>(٧)</sup>: [مجزوء الوافر]

(١) الذخيرة: ٢م ٣ ق ٤٥٧.

(٢) النفح: ج ٤ ص ١٢٧ وص ٣٧١.

(٣) ياسين خير الله العمري: مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء: ص ٢٢٢-٢٢٤ تحقيق رجاء محمود الما مراني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد - دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م.

(٤) الذخيرة: ٢م ١ ق ٦٩٣. وانظر غرسية غومس: الشعر الأندلسي: ص ٥٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢م ١ ق ٧٠٤.

(٦) الذخيرة: ٢م ١ ق ٧٠٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢م ١ ق ٧٠٧.

عَسَاكَ بِحَقِّ عَيْسَاكَ      مُرِيحَةَ قَلْبِي الشَّاكِي  
وَأَمَّ آتِ الْكِنَائِسِ عَنِ      هَوَى فَيِهِنَّ لَوَاكِ  
وَعَقْدُ الرُّوَضِ خَدَاكَ      وَمِنْ رِيَاءِ رِيَاكَ

إن الشيء بالشيء يذكر فقد بهنت صورة الجارية المبتهلة إلى الله، إلا أن ابن شهيد صور لنا قطعة شعرية حرصت فيها الجارية على التوبة والغفران لما عُرف عنهن من ابتذال. وربما تحلت بالحياء لذا ولت مسرعة حين وقعت عينها على الشاعر ابن شهيد خيفة التشبيب بها، وكانت هذه الجارية (من اعيان أهل قرطبة معها من جواربها من يسترها ويواربها وهي ترتاد موضعاً لمناجاة ربها وتبتغي منزلاً لاستغفار ذنبها وهي منتقبة خائفة وممن يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أو ظبي يمرح في كناس ... فلما نظرها قال قولاً فضحها به وشهرها)<sup>(١)</sup>:  
[المقارب]

وناظرة تحت طيِّ القناع      دعاها إلى الله والخير داع  
سمعت بابنها تبتغي منزلاً      لوصل التبتُّل والإنقطاع  
فجاءت تهادي كمثل الرُّوم      تراعي غزاً بأعلى يفاع  
أنتنا تبتخرُ في مشيها      فحلت بوادٍ كثير السباع

وقد بدت (جوهره) جارية المعتمد بن عباد نقيّة طاهرة بعيدة عن الإبتذال، ربما لأنها لم تتناقلها الأيدي يقول<sup>(٢)</sup>: [السريع]

سُرورنا دُونكم ناقصُ      والطيبُ لا صافٍ ولا خالصُ

(١) انظر ديوان ابن شهيد : ص ٩٤ - ٩٥ - عني يجمعه شارل بلا، ط. الأولى بيروت - لبنان - ١٩٦٣ - دار المكشوف . وانظر علي ابن ظافر الأزدي: بدائع البدائنة: ص ٣٥٧ تحقيق محمد أبو الفضل، ط - ١٩٧٠ - مكتبة الأنجلو القاهرة.

(٢) انظر ديوان المعتمد : ص ١٩ تحقيق أحمد أحمد بدوي، والمصدر نفسه: ص ٤ تحقيق صلاح خالص. والخريدة : ج ١١ ص ١٤٨.

وَالسَّعْدُ أَنْ طَالَعْنَا نَجْمَهُ      وَغَيْتَ، فَهُوَ الْأَقْلُ النَّاكِصُ  
سَمَوَكَ بِالْجَوْهَرِ مَظْلُومَةً      مَثْلَكَ، لَا يُذْرِكُهُ غَائِصُ

ولقد جسّد ابن حزم الأندلسي المتوفى (٤٥٦هـ) صورة العفة والنزاهة والخير  
والصلاح وإشراقه نور الرحمن حين قال<sup>(١)</sup>: [البيسط]

خَرِيدَةٌ صَاغَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ نُورِ      جَلَّتْ مَلَاجِئُهَا عَنِ كُلِّ تَقْدِيرِ  
لَوْ جَاءَنِي عَمَلِي مِنْ حُسْنِ صَوْرَتِهَا      يَوْمَ الْحِسَابِ وَيَوْمَ النَّفْحِ فِي الصُّورِ  
لَكَيْتُ أَحْظَى عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ      بِالْجَنَّتَيْنِ، وَقُرْبِ الْخُرْدِ الْخُورِ

والجارية التي خلّبت عقول الأمراء والملوك نجدها هنا تسلب عقل الناسك  
الورع فقد ذكر لنا ابن حزم أن صاحب صلاة جامع قرطبة (أحبّ جارية حباً شديداً  
فعرض عليها أن يُعْتَقَهَا وَيَتَزَوَّجَهَا فقالت له ساخرةً به، وكان عظيم اللّحية:-

إِنَّ لِحْيَتَكَ إِسْتَبَشِعَ عِظْمَهَا، فَإِنْ حَذَفْتَ مِنْهَا كَانَ مَا تَرُغِبُهُ فَأَعْمَلِ الْجَلْمِينَ فِيهَا  
حَتَّى لَطَفْتُ، ثُمَّ دَعَا بِجُمَاعَةٍ شُهُودٍ، وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى عُنُقِهَا، ثُمَّ خَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ فَلَمْ  
تَرْضَى بِهِ، وَكَانَ مِنْ جُمَلَةٍ مِنْ حَضْرَةِ أَخُوهُ، فَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ: أَعْرَضَ عَلَيْهَا أَنِّي  
أَخْطُبُهَا أَنَا: ففعل، فأجابته إليه، فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار  
الفادح، على ورعه ونسكه واجتهاده<sup>(٢)</sup>.

نستشف من الخبر السابق تمتع الجارية بحرية تامة في إختيار الزوج وشريك  
الحياة دون ضغط ولا إكراه، علاوة على تمتعها بروح الدُعاة والظرف، وتمكنها من  
الجرأة والحريّة في التعبير عن ذوقها وأفكارها.

(١) طوق الحمامة: ص ٢٠١.

(٢) طوق الحمامة: ص ٨٥.

ومن الشعراء من راح يتغزل بالجارية غزلاً عُذرياً شريفاً ولم يُصرِّحَ بغرامه  
مخافة لوم اللائم وربما لعفتها ، كان في عُشقه صادقاً عفيفاً عميقاً ، يقول الأعمى  
التطيلي<sup>(١)</sup>: [مجزوء الكامل المرفل]

يا مَنْ كَتَمْتُ غَرَامَهُ      حَتَّى أَضْرَبَهُ الْغَرَامُ  
وَإِلَى الْعَذُولِ مَلَامَةً      وَالصَّبُّ يُؤْلِمُهُ الْمَلَامُ  
هَلَّا رَعَيْتُ ذِمَامَهُ      وَالْحَبُّ أَيْسَرُهُ ذِمَامُ

وبدت صفة الشقرة عند الجواري واضحة فجارية ابن حزم (نغم) شقراء  
جميلة جمعت بين حسن الخلق ولطافة<sup>(٢)</sup> الخلق: [الطويل]

مُهَذَّبَةٌ بِيضَاءُ كَالشَّمْسِ إِنْ بَدَتْ      وَسَائِرُ رَبَاتِ الْحِجَالِ نَجُومُ  
أَطَارَ هَوَاهَا الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرَّةٍ      فَبَعْدَ وَقُوعِ ظِلِّ وَهُوَ يَحُومُ

تبدو جارية ابن زيدون شقراء ذات بشرة بيضاء شابة صبيية لم تتجاوز  
السادسة عشر مثلاً جاء في وصفه لها قائلاً<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

مَنْ حُبِّ جَارِيَةٍ يَبْدُو بِهَا صَنَمٌ      مِنْ اللَّجِينِ، عَلَيْهِ تَأْجُ عَقِيَانِ<sup>(٤)</sup>  
غَرِيرَةٌ لَمْ تَفَارِقْهَا تَمَائِمُهَا      تَسْبِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسِنَانِ  
حَتَّى تَكُونَ لِمَنْ أَحْبَبْتُ خَاتِمَةً      نَسَخْتُ فِي حُبِّهَا كَفْرًا بِإِيْمَانِ

(١) الديوان : ص ٢٦٠.

(٢) طوق الحمامة: ص ٧٩.

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٢٦٧ تحقيق كامل وخليفة.

(٤) اللجين : الفضة . العقيان : الذهب الصافي.

ولقد تباين الشعراء في أدواقهم فمنهم من تغزل بجارية شقراء، ومنهم من  
راح يتغزل بالجوارى الصفراوات إبن خفاجة الأندلسي الذي تغزل بصبيّة صفراء  
اللون تدعى (عفراء) وقد قال فيها<sup>(١)</sup> : [الطويل]

أرقت لدرى مَنزِلَ شَطِّ نازح      كلفتُ بأنفاسِ الشِّمالِ لَه شَمًا  
وأقوى عفراءَ السَّلامِ وَقَلَّ لَهَا      أَلْهَلُ أَرَى ذَاكَ السُّهَى قَمْرَاتِمًا  
ودون الصِّبَا إحدى وخمسونَ حَجَّةً      كَأَنِّي وَقَدَوَلْتُ أُرِيْتُ بِهَا حَلْمًا  
ويا لِيَتِي كُنْتُ ابْنَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِ      فَلَمْ أَدْعُهَا بِنْتًا وَلَمْ تَدْعُنِي عَمَّا

أما الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني المتوفى سنة (٥٢٩هـ) فقد  
عشق جارية سوداء ، لكنها بدت جميلة في نظره فشبها بالمسك، بلُ اعتقد هي  
والمسك من طينة واحدة ، وكانت تدعى (عز) ، قال<sup>(٢)</sup>: [السريع]

يا عَزُّ عَزِّ الوَجْدِ صَبْرِي بِمَا      أَصْبَحْتُ مِنْ حُسْنِكَ تَبْدِينِهِ  
وَقَدْ أَخَذْتُ الْمِسْكَ فَخَرًّا بِأَنْ      أَصْبَحَ يُحْكِيكَ وَتَحْكِينِهِ  
لَا شَكَّ إِذَا لَوْنَكُمَا وَاحِدٌ      أَنْكُمَا فِي الْأَصْلِ مِنْ طِينِهِ

وعلى أية حال فالرجل شغلته الجارية سواء أكانت بيضاء أم سوداء، وبلغ  
من انشغاله بها بحيث نجد المعتمد بن عباد عندما أرسل رسالة إلى "يوسف بن  
تاشفين" وكان - لا يكاد يعرف العربية - وقد ضمن المعتمد رسالته بأبيات من الشعر  
لاين زيدون من نونيته المشهورة: [البيسيط]

بِنْتُمْ وَبِنَا فَمَا أَبْتَلَتْ جَوَانِحُنَا      شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَأْقِينَا  
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامًا فَعَدَّتْ      سَوْدًا وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْنَضًا لِيَالِينَا

(١) ديوان ابن خفاجة : ص ٨١ . وانظر الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٥٧٧ .

(٢) الديوان : ص ١٤٧ .

فلما قُرئَ عليه هذان البيتان قال للقارص يَطْلُبُ مَنْ جَوَازِي سِوَا وَبِيضاً<sup>(١)</sup>.  
فهذه الرواية وأن كانت يعوزها بُعد التحامل والإدعاء ضد المرابطين إلا أننا نلَمَسُ  
من سياقها إهتمام وإنشغال الملوك والقادة بالجواري.

وبلغ حبهم لجواريتهم أن يأتوا بصور متخيلة لهن في نفوس الشعراء. فوصف  
ابن خفاجة الجارية المصنوعة من ورق الريحان، وقد عَطُرَتْ بِأَثْمَنِ الْعُطُورِ وَقَلَّدَتْ  
حَلِيّاً ثَمِينَةً فَأَجَادَتْ قَرِيحَتَهُ حِينَ قَالَ<sup>(٢)</sup>:

لَقَدْ زَفَّ بِنْتاً لِلْحَمِيلَةِ طِفْلَةً	يَهْزُ إِلَيْهَا الدَّسْتُ أَعْطَافَ مُعْرَسِ
تُسَيِّرُ إِلَيْهَا كُلَّ رَاحَةِ سَوْسَنِ	وَتَشْخِصُ فِيهَا كُلَّ عَيْنٍ لِنَرْجَسِ <sup>(٣)</sup>
تَتَوَبُّ عَنِ الْحَسَاءِ وَالِدَارِ غَرْبَةً	فَمَا ثَمَّتَتْ مِنْ لَهْوِ بَهَا وَتَأْنَسِ
وَتَمْلَأُ عَيْنَ الشَّمْسِ لِالْإِلاءِ بِهَجَةٍ	وَحُسْنِ وَأَنْفِ الرِّيحِ طَيِّبَ تَنْفُسِ

وبلغ تاثر الشعراء بجواريتهم ، أنهم استعادوا الصور الشعرية من هياتهن  
وأناقتهن وحليهن، كل هذه الصور أطراها ابن عمار على وصف زورق رآه  
قائلاً<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

وَجَارِيَةٍ مِثْلِ الْهَلَالِ الْفَتْهَا	عَلَى نَهْرِ مِثْلِ السَّمَاءِ رَقِيقِ
تَجَلَّى لَنَا الْإِصْبَاحُ وَهُوَ زَمْرَدٌ	فَأَلَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُوبَ رَحِيقِ

وربما تغزل ابن شهيد بلكنة جارية كما تغزل بجمال صدرها قائلاً<sup>(٥)</sup>: [الكامل]

- (١) انظر اميلو غرسية غومس: الشعر الأندلسي : ص ٥٥.
- (٢) ديوان ابن خفاجة : ص ١٥٥، تحقيق مصطفى غازي ، ط. المعارف - ١٩٦٠.
- (٣) المصدر نفسه : ص ١٥٥ - ١٥٦.
- (٤) الحلة السبراء : ج ٢ ص ١٦٤ ، يقصد بالجارية هنا الزورق أو السفينة.
- (٥) أنظر ديوان ابن شهيد : ص ٧٧ - ٧٨ . وانظر شارل بلا : ابن شهيد حياته وأثره : ص ١١٥.  
هذه الأبيات مقمة غزلية ثم مدح عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن المنصور الذي صار  
صاحب بلنسية بعد سنة ٤١٢هـ. انظر ديوانه السابق ص ٧٧ تحقيق شارل بلا.

فشربتها وسمعت من طنبوره  
يهتز من أعجازه وصدوره

يدعو بلكنة بربري طرفه  
متصنبا كالغصن إلا أنه

## وفاء الجوّاري :-

سجلت الجارية وفاء نادراً ، في حبها وتعلقها في الرجال ومنهن من أظهرت حبها، وبعضهن من أحببت وكتمت.

وقد نقل لنا ابن حزم الأندلسي صوراً عن وفاء الجوّاري لآسيادهن فمنهن من مات سيدها (فبيعت في تركته فأبّت أن ترضى بالرجال بعده إلى أن مات ، وأنها كانت تحسن الغناء فأنكرت علمها به، ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة) (١) ومنهن من نرفت دموعاً وبكت بكاءً شديداً على فراق سيدها فأجابها (٢): [المقارب]

ترفق بدمعك لا تفنيه      فبين يديك بكاء طويل

أمّا خبر الجارية التي عزف عنها سيدها (شيء بلغه في جهتها لم يكن يوجب السخط. فباعها، فجزعت جزعاً شديداً وما فراقها النحول والأسف، ولا بان عن عينها الدمع إلى أن سلّت وكان ذلك سبب موتها. ولقد أخبرت ابن حزم امرأة كان يثق بها. أنها لقيتها وهي قد صارت كالخيال تحولاً ورقّة، فقالت لها : أحسب هذا الذي بك من محبتك لفلان فتنقست الصعداء وقالت والله لا نسيته أبداً وإن كان جفاني بلا سبب. وما عاشت بعد هذا القول إلا يسيراً) (٣). والفيينا أن بعضهن قد كتمت الأسرار وحافظت على الأخبار لشدة وفائها فقد قيل إن (امرأة موسرة، ذات حنظل وحدم، فشاغ على إحدى جواربها أنها تعشق فتى من أهلها، ويعشقها، وأن

(١) طوق الحمامة : ص ١٣٧.

(٢) أعمال الإعلام : ص ١٩١.

(٣) طوق الحمامة : ص ١٨٤.

بينهما معانٍ مكروهة! وقيل لها : إن جاريتك فلانة تعرف ذلك وعندها جليّة أمرها ، فأخذتها وكانت غليظة فأذاقتها من أنواع الضرب والإيذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال، رجاء أن تبوح لها بشيء مما ذكر لها، فلم تفعل<sup>(١)</sup>. فالصورة التي أبدتها هذه الجارية من التزامها الصمت، وتحملها الأذى لدليل قاطع على اخلاصها ووفائها لزميلتها.

وقد أفرد ابنُ حَزْم<sup>(٢)</sup> في كتابه طوق الحمامة باباً للوفاء ضمنه مراتبه وشروطه على المحبين.

### القينة : -

(الأمّة المغنيّة ، من التّقين وهو التّزين. ومنه قيل للمرأة مقينة إذا كانت تزين النساء ، شبهت بالأمّة ، لأنها تصلح البيت وتُزينه وقيل القينة الأمّة مُعتبّة كانت أو غير مغنيّة. والمغنيّة تسمى قينة إذا ان الغناء صناعة لها وذلك من عمل الإماء دون الحرائر)<sup>(٣)</sup>.

والقيان الجوّاري المغنيات<sup>(٤)</sup>، وربما لا تغني بقصائد الزهديات بل الأشعار المطربة المثيرة الطبع إلى العشق ، والنص الذي عثرنا عليه في الذخيرة يؤكد وجود الفرق بني الجارية القينة والملهية والمغنية يقول ابن بسام (وأعدّ له القينات والملهيات والمغنيات، فوكسه في الصبا بعد المشيب وعرف شغفه بالبطالة فقصدها)<sup>(٥)</sup> . وربما اقتصت القينة بالغناء يقول<sup>(٦)</sup> المعتمد بن عباد: [الطويل]

(١) المصدر نفسه : ص ٩٣-٩٤.

(٢) طوق الحمامة : ص ١٣٤-١٤٠.

(٣) لسان العرب : م ١٣ ص ٣٥١.

(٤) ابن طيفور : بلاغات النساء : ص ٢١٨.

(٥) الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٥٢٥.

(٦) ديوان المعتمد : ص ٩٩.

أمامي وخلفي روضةٌ وغديرُ  
تُغني قِيانَ أو تَرِنَ طيورُ

فيا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً  
بمنبة الزيتون مورثة العُلا

### المغنية:-

اشتهر الأندلسيون بحب الغناء وعشق المغنيات وشاع اقتناؤهن واقتناء الجواري بصورة عامة فكن يملأن القصور. قد يكون لحياة الترف والبذخ وطبيعة البلاد الجميلة جعلت المرأة الأندلسية هي الأخرى تشغف به وتحترفه. كما شغفت به أختها المشرقية<sup>(١)</sup>. ودليلنا القاطع على شغفهم هو وجود أدوات الطرب في بلادهم ما لم يوجد في غيرها<sup>(٢)</sup>. لا يرى صاحب العقد الفريد من خلق الله شيئاً أوقع في القلوب وأشدَّ إختلاساً للعقول من الصوت الحسن لا سيما إذا كان من وجه حسن<sup>(٣)</sup>. والدليل الأخر إستقدام القينات المدربات من المدينة وبناء دار لهنّ ملحقة بقصر عبد الرحمن الأوسط سُميت بدار المدنيات<sup>(٤)</sup>، كـ (فضل) التي حصلت على ثقافة شعرية وموسيقية<sup>(٥)</sup> فائقة وقلم الأندلسية الأصل التي أسرت وهي صغيرة وعادت إلى وطنها لتسحر بغنائها التي تميزت بحداقته<sup>(٦)</sup>. أداءً ولحناً. وقرم البغدادية التي بذل صاحبها أموالاً عظيمة لشرائها وأقدمت إلى الأندلس فازدرى بها نساء العرب، وأخذن يتهامسن إذا مرّت ويتغامزن إذا غنت، فقالت<sup>(٧)</sup>: [البسيط]

(١) كرم البستاني : النساء العربيات : ص١٧٧. ط. بيروت . دار صادر ١٩٦٤.

(٢) ابن حزم وابن سعيد والشقندي : فضائل الأندلس وأهلها: ص٥٢.

(٣) العقد الفريد: ج٦ ص٥.

(٤) النفع : ج٤ ص١٣٦.

(٥) إلفي بروفنسال: الشرق الإسلامي والحضارة العربية: ص٢٤ - ٢٥ ط. المغرب - ١٩٥١.

(٦) النفع : ج٤ م٢ ص١٣٦.

(٧) بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص٢٢١، ط. الأولى سنة ١٩٣٤.

لَوْ يُعْقَلُونَ لَمَا عَابُوا غُرَيْبَتَهُمْ      اللَّهُ مِنْ أُمَّةٍ تُزْرِي بِأَحْرَارِ

ولقدوم زرياب وتلاميذه أثر واضح على الموسيقى والغناء ولا ننسى اثر جاريته (متعة) التي علمها أحسن أغانيه، وابنته حمدونة التي أتقنت صناعة الغناء، وإستقدم علون وزرقون ايام الحكم بن هشام<sup>(١)</sup>. فكان لهم أثر كبير على الغناء. والذي يعزز إهتمامهم بالغناء عنايتهم البالغة وحرصهم على تعليمهم وتدريبهم على فنون الموسيقى، ويبدو تمركزهم في قرطبة ذلك لأن المعتضد المتوفي سنة (٤٦١هـ) كان قد أرسل إليها يطلب جارية زامرة<sup>(٢)</sup> وجارية قينة. وربما تميزت قيان قرطبة واشتهرن بطربهن.

وقد بدا محمد بن الكتاني المتطبيب المتوفي (٤٢٠هـ)<sup>(٣)</sup> معلماً للقيان فهو يقول : - (إن في ملكي الآن أربع روميّات كن بالأمس جاهلات. وهنّ الآن عالمات حكيّات منطقيات فلسفيات هندسيّات موسيقاويات)<sup>(٤)</sup>. وتباع القيان بأثمان باهظة وأسعارهن تتفاوت حسب مهارتهن وكلما أتقنت الصنائع ارتفعت قيمتها، ولقد دفعوا مبالغ طائلة للحصول على فنانة ماهرة<sup>(٥)</sup>. كما كانت تباع عند المشاركة، إمّا لظرفها أو سرعة بديتها أو لجمالها أو لقولها الشعر وحفظها الأخبار<sup>(٦)</sup>. وقد تشتري الجارية إذا وصفت بحسن صوتها<sup>(٧)</sup>. وأول من بالغ بثمن شرائها في الأندلس (هذيل) المتوفي

(١) انظر أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس : ص ٢٠ - ٢١ . وانظر فصول في الأدب

الأندلسي : ص ٥٠ . محمد رضوان الداية : تاريخ النقد في الأندلس : ص ٢٦ .

(٢) البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطيب : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : ص ١٣ ، ط .

الثانية - مطابع الشروق - ١٩٨١ .

(٤) الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٥) ابن ظافر : بدائع البدائنة : ص ٧٤ . ط . غير محققة .

(٦) ابن الجوزي : الأذكياء : ص ٢٣٧ و ص ٢٢٧ .

(٧) المغرب : ج ٣ ص ٢١٢ .

\* هذيل : كان بارع الجمال حسن الخلق جميل العشرة ظاهر المروءة لم يرمن الأمراء أبهى منه

منظراً . توفي سنة ٤٣٦ هـ . انظر المصدر السابق .

سنة (٤٣٦هـ) فقد إشتري جارية الكتاني المتطيب بثلاثة آلاف دينار بعد أن أحجمت الملوك عنها فكانت ستارته أرفع ستارات الملوك بالأندلس<sup>(١)</sup>. وارتفعت أثمانهن فكانت الواحدة منهن تباع بألف دينار لحسنها وتماخى خلقها<sup>(٢)</sup>. وربما تعرضت الجارية للامتحان ومقارضة الأشعار وبعد تفوقها تبتاع<sup>(٣)</sup>. ومنهم من إشتري جوارباً للمتعة من اللائي يأنس بهن<sup>(٤)</sup>. وربما المّت القيدة بكل هذه المؤهلات التي سردها ابن حيان، منها الخفة في الروح السرعة في الحركة . اللين في العطف . الطيبة في الصوت . الحسن في الغناء . الجودة في الكتابة . الحسن في الخط . الإبداع في الأدب . السلامة في اللحن في الكتابة والغناء . المعرفة بالنحو واللغة والعروض المعرفة بالطب والمعرفة بعلم الطبائع . المعرفة بالتشريح . تحسن صناعة الثقاف والمجدلة بالتراس ، تحسن اللعب بالرماح والسيوف والخناجر<sup>(٥)</sup>. بهذه الفنون اقتصت الجواري دون الحرائر ونخص منها فن الغناء فقد قيل عنه (إنه ينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنعه السكر . فإن كان ولا يبدّ فجنبوه النساء فإنه داع إلى الزنا)<sup>(٦)</sup>. ولم نجد من الحرائر من أتقنت الموسيقى واشتهرت بها إلا بنات زرياب . وولادة (\*) بنت المستكفي . (وهي التي كانت في نظرهم من المتطرفات)<sup>(٧)</sup>.

(١) البيان المغرب: ج٣ ص ١٨٣ - ٣٠٨.

(٢) محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار : ص ٣٣٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الإماء الشواعر: ص ١٣٠ - ١٣١ تحقيق د. نوري حمودي القيسي.

ود. يونس الامراتي. السيوطي : المستطرف من أخبار الجواري: ص ٦٩ - ٧٠.

(٤) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ٣٥.

(٥) البيان المغرب : ج٣ ص ٣٠٨.

(٦) محاضرات الأدباء: ج٢ ص ٧١٥.

\* ولادة بنت الخليفة المستكفي شاعرة غزلة هجاء سنتكلم عنها لاحقاً

(٧) محمد جميل بيهم : المرأة في حضارة العرب : ص ٢٥٥.

ولقد صورَ لنا ابن خفاجة صورةً لمغنيةً متمكنةً من فنّها، جمعت بين الجمال الجسدي وجمال الصوت والبراعة في الغناء. بدأت أغانيها موجزةً قصيرةً، للذّتها ولطفها وخفّتها، يقول (١): [الكامل]

وفتاءُ حسنٍ كلّها أعجازُ      غنّت غناءً كلّها إعجازُ  
لذّت أغانيها وخفّت موعباً      فكأنما تطويلها إيجازُ

ومن الجوّاري من اقترحت معاني الأغاني على الملحنين ومنهن من صنعت لحناً رائعاً في طريقة النشيد كـ(ضنى العامريّة) إبنة المظفر الأكبر للحاجب المنصور بن أبي عامر. ومنهن من وصفت أمام ابن حزم صوراً شعريّة على حدتعبيره فصنعها شعراً يقول (٢): [الخفيف]

خَلَّ هذا وبادر الدهرَ وارحَلَ      في رياض الرُّبى فطىَّ العقارِ  
واحدها بالبديع من نعمات الـ      سعودٍ كيما تُحِتُ بالمزمارِ  
إن خيراً من الوقوف على الدا      رٍ وقوفُ البنانِ بالأوتارِ

يقول ابن حزم (ولقد أنشدتها بعض إخواني من أهل الأدب فقال سروراً بها : يجب أن توضع في جملة عجائب الدنيا السبع) (٣).

ومنهن من غنّت بأشعار ليس لها كالجارية التي أخذت العود وغنّت بعد أن أومأت العليجة لها بالغناء فغنّت (٤): [الطويل]

حليبيّ ما للريح تأتي كأنما      يخالطها عند الهبوب خلوق  
أم الريح جاءت من بلادٍ أحبّتي      فأحسبها ريحَ الحبيبِ تسوقُ

(١) الديوان : ص ٣٥٢ . وانظر النخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٦٠٣ .

(٢) طوق الحمامة : ص ١٨٢ . وانظر طه الحاجري : ابن حزم صورة أندلسية : ص ٥٣ - ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه : والصفحة نفسها .

(٤) النخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣١٨ .

وكان في المجلسجاريات من القوامات أسيرات جميلات فلما سمعت إحداهن  
الشعر بكت ولما سئلت : ما أبكاك؟ قالت : هذا الشعر لأبي، وسمعتة فهيج شجوني .  
ف قيل لها : من أبوك؟ قالت سليمان بن مهران<sup>(١)</sup> السرقسطي، ولي في الأسر مدة ولم  
أسمع لأهلي بعدُ خبراً.

ومن الطبيعي أن تثير القيان الفرح والسرور بنفس السامع وربما أثرن الحنين  
والشجون، ومن ذائعات السرور بأصواتهن يقول التطيلي<sup>(٢)</sup>: [المقارب]

وقد حسدتك القيانُ الحنين      فهلاً حسدت السرور القيانا

ويبدو أن التطيلي شغف بحب القينة "لذيذة" وأنها تركته لعذابه بين غليان  
فؤاده وانسكاب دموعه وقد تغزل بخال لها. ولا ندري هذا الخال كان طبيعياً أم وضع  
لزيادة الجمال والحسن تماشياً مع متطلبات القيان. وقد اعترف بحبه لها وكان يكتفيها  
بـ(أم الوفاء) قائلاً<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

يا رب سَفَكَتْ أُمُّ الْوَفَاءِ دَمِي      وقد تَخَوَّفْتُ يَوْمًا أَنْ تُوَاخِذَ بِي  
سَبَتْ فُؤَادِي ذَاتَ الْخَالِ قَادِرَةٌ      وَلَا نَصِيبَ لَهُ مِنْهَا سِوَى النَّصَبِ

وتظهر لنا صفات القينة المتقلبة في الحب، الجافية<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

يا حبذا أُمُّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفَتْ      وَتَغَيَّرَتْ فَهِيَ الَّتِي لَا تَسَامُ  
وَهِيَ الَّتِي انْفَرَدَتْ بُودِي كُلَّهُ      وَلَطَالَمَا قَدَّكَانَ وَهُوَ مَقْسَمٌ

(١) سليمان بن مهران السرقسطي: أديب شاعر مشهور. له جلاله قدر. كان ينشد الشعر في مجلس  
الوزير أبي الإصبغ علي بن سعيد . انظر ترجمته في جذوة المقتبس: ص ٣٤٩ ترجمة  
(٤٥٨).

(٢) ديوان التطيلي : ص ١٩٠.

(٣) النخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٧٣٥ - ٧٣٦.

(٤) المصدر نفسه: م ٢ ق ٢ ص ٧٣٩.

وقد اكتملت صورة المغنيات عند ابن حمد يس فظهرت محاسن أجسامهن وأصواتهن وزينتهن. حيث تَزَيَّنَ بأثمن الأحجار وقد خضبن البنان وأنشدن أحسن الألحان فجاءت صورتهم تَسْرَ الكئيب وفيها يقول<sup>(١)</sup>: [المقارب]

وغيِدَ لَطائفُ ألحانِها      تُتَغَمَّها لسرورِ الكئيبِ  
فكلُّ مَقْمَعَةٍ بِالْعَقِيقِ      من التَّرِ أعْصانِ كَفِّ خَضِيبِ.  
إذا أَسْمَعْتَ حَسَناتِ الغناء      شربنا عليها كَوُوسَ الذنوبِ

ونجد صورة أخرى لقينة جمعت بين جمال الوجه وروعة الغناء وحسن الصوت ينقلها السرقسطي قائلاً<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

لا عيشَ إلا في المُدامِ وَقِينَةٍ      تَسُدُّو على وَتَرِ فصيحِ أُلْبَغِ  
وكانما نَغَماتُها في لفظها      ذهبَ أسبيلٌ على لَجِينِ مَفْرَغِ  
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهها      ناديتُ يا قمرَ السَّما : لا تَبزِغِ

ومنهن من امتازت بجمال نادر كـ (بياض البشرة وصفائها) مع احمرار وجناتها، ورشاقة قدما وطول قامتها فظهرت صورة رائعة في الحسن. وفيها قال أحمد بن فتح التيهرتي<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

ما حاز كُلَّ الحُسْنِ إلا قِينَةٌ      بصريةٌ في حُمْرةٍ وبياضِ.

(١) ديوان ابن حمد يس : ص ١٣.

(٢) التشبيهات : ص ١٠٥.

\* أبو عثمان السرقسطي الملقب بالحمار: سعيد بن فتحون بن مكر التجيبي ينسب إلى سرقسطة ونسبه ابن عبد الملك إلى قرطية. كان إماماً في النحو واللغة وفي أيام المنصور بن أبي عامر نالته محنة شديدة أدت إلى سجنه ثم هاجر إلى صقلية. ترجم له صاحب الجنوة : ص ٢١٦ والبغية : رقم ٨١٣.

(٣) البيان المغرب : ج ١ ص ١٠٣.

\* أحمد بن فتح أشار إليه الكتاني في الشتيهات: ص ٢٨٣.

الخمرُ في لحظاتها والوردُ في وجناتها هيفاء غيرُ مناض  
وربما اشتهرت القيان بجمالهنّ الفَتان مما دعا الشاعر ابن عمار إلى جعل  
الأغصان تحاكي جمالهن، وإليه يعود الفضل، قائلاً<sup>(١)</sup>: [الكامل]

حكّت الغصونُ جمالَ قدكِ فانثتِ والفضلُ للمحكي لا للحاكي  
وتغزل يوسف بن هارون الرمادي بسواد شعر القيان قائلاً<sup>(٢)</sup>: [الوافر  
المرجرز]

وليلةٍ لمةٍ تبقى العيونُ الرامِقُ من نجاها في ضلالِ  
ومثله قوله في قينة خضبت بناتها وتعطرت<sup>(٣)</sup>: [الطويل]  
وأوتارُ مَحْضُوبِ البنانِ كأنها خمام وصبرى حينَ طَلَّ هَدْيُهُ  
ولقد لَعِبَتْ القنينةُ جوهرةً دوراً في حياة المعتمد بن عباد العاطفية ويبدو دلالتها  
عليه واضحاً فعذابها يلذُّ له لشدة تعلقه بها يقول<sup>(٤)</sup>: [مجزوء الرجز]

جوهرٌ قد عذبتني منك تمادي الغضابِ  
فزفرتني في صاعدٍ وعبرتني في صائبِ  
يا كوكبَ الحسنِ الذي أزرى بزهرِ الشُّهبِ  
مسكنك القلبِ فلا ترضني له بالعطابِ

ومثلما تغزل المعتمد لدلالها تغزل الرمادي بلكنتها قائلاً<sup>(٥)</sup>: [السريع]

- 
- (١) الحلة السبراء : ص ١٦٤ . تحقيق د. حسين مؤنس .  
(٢) شعر الرمادي : ص ١١٠ . وانظر التشبيهات : ص ١٢١ قطعة ٢٢٨ .  
(٣) المصدر نفسه : ص ١٠٤ . وانظر التشبيهات : ص ١٠٥ - قطعة ١٩١ .  
(٤) ديوان المعتمد ص ٣ . وانظر المصدر نفسه تحقيق صلاح خالص : ص ٧٣ ، والخريدة : ج ١١ ص ١٤٨ .  
(٥) شعر الرمادي : ص ١٣٤ .

خَطَّاقَةٌ سَبَّحَتْ اللَّهَ      بعجْمَةً يَفْهَمُ مَعْنَاهَا  
مَدِيدَةُ الصَّوْتِ إِذَا مَا أَنْتَ      لَكِنَهَا تَدْمِجُ مَبْدَاهَا  
لِقَارِيٍّ إِنْ تَأْتَيْهِ وَقْفَةٌ      مَدَّ بِهَا الصَّوْتُ وَجَلَّاهَا

وربما كان لجمال القينة أثر في سماعها، يَشُدُّ صَوْتَهَا السَّامِعَ لَهَا أَيْضاً يَقُولُ  
أبن عمار<sup>(١)</sup>: [الكامل]

نَفْسٌ إِذَا عَذَّبَتْهَا - تَهْوَاكَ      وَيَهْزِئُهَا طَرْبٌ إِلَى لَقِيَاكَ  
عَجْباً لِهَذَا الْوَصْلِ أَصْبَحَ بَيْنَنَا      مَتَّعِزّاً وَمُنَايَ فِيهِ مُنَاكَ

ونجد ابنَ عمارٍ يُجسِّدُ الحُبَّ العذريَ لهذهِ القينةِ التي اختلسَ النظرَ إليها  
إختلاساً قائلًا<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

اللَّهُ أَعْلَمُ مَا أُرْوَرُ لِحَاجَةٍ      ذَلِكَ الْمَجِلُّ لغيرِ أَنْ أَلْقَاكَ  
لَيْتَ الرَّقِيبَ إِذَا التَّقِينَا لَمْ يَكُنْ      فَأَنَالَ رَبًّا مِنْ لَدِينِ لُمَاكَ  
مَتَنَزَّهَا فِي رَوْضِ خَدِّكَ شَارِباً      كَأْسِ الْفَتُورِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكَ

وَيَنْقُلُ لَنَا الرَّمَادِي صُورَةَ الْمَطْرِبَةِ الْعَازِفَةِ الَّتِي لَثَمَتْ أَصَابِعَهَا الْأُوتَارَ لَثْمًا  
وَسَيَّطَرَتْ عَلَى الْغَنَاءِ فَجَلَّبَتْ الْأَنْظَارَ إِلَيْهَا. قَائِلًا<sup>(٣)</sup>: [مخلع البسيط]

تَلَثَّمُ الْأُوتَارَ مِنْهَا بِنَانًا      يَغْدِلُ الْأَقْوَاهِ إِلَّا الرُّضَابَا  
تُسَبِّقُ الْأَبْصَارَ مِنْ وَحْيِ صَوْتٍ      تُحْسِبُ التَّرْجِيْعَ مِنْهُ إِنْتِهَابَا

ومن المغنيات من أنشدت أبياتاً أثارت فيها سُخْطَ الحَاضِرِينَ وَاشْمِئزَّازَهُمْ  
وتطيرهم وتشاؤمهم، وقد ذكر لنا المَقْرِي المتوفى (١٠٤١هـ) جاريةً غنت أمام

(١) أنظر الحلة السيرة: ص ١٦٤.

(٢) أنظر الحلة السيرة : ص ١٦٤.

(٣) شعر الرمادي : ص ٥٢ وأنظر التشبيهات : ص ١٠٤.

المعتمد بن عباد بأبيات (فوقع في قلبه أنها عرضت بساداتها، فلم يملك غضبه،  
ورمى بها في النهر، فهلكت) <sup>(١)</sup> والأبيات هي: [الكامل]

حُمَلُوا قُلُوبَ الْأَسَدِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ      وَلَوْ أَعْمَانَهُمْ عَلَى الْأَقْمَارِ <sup>(٢)</sup>  
وَتَقَلَّدُوا يَوْمَ الْوَعْيِ هَنْدِيَّةً      أَمْضَى إِذَا انْتَضَيْتَ مِنَ الْأَقْدَارِ  
إِنْ خَوْفُوكَ لَقَيْتَ كُلَّ كَرِيهَةٍ      أَوْ أَمْنُوكَ حَلَلْتَ دَارَ قَرَارِ

وتطير الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه واستحالت مسرته وتجهمت أسرته  
عندما سمع مغنية تُتشد <sup>(٣)</sup>: [البسيط]

إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَرَى صَبْرًا لِمَصْطَبِيرِ      فَانظُرْ إِلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلَلُ

فتغير وجهه وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت: [البسيط]

يَا لَهْفًا نَفْسِي عَلَى حَالٍ أفرَقَهُ      عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَرُوءَاتِ  
إِنَّ اعْتِدَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي      مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمَصِيبَاتِ

تلاقى الحال الشاعر ابن اللبانة فقام وقال <sup>(٤)</sup>: [البسيط]

مَحَلُّ مَكْرُمَةٍ لَا هُدًى مَبْنَاهُ      وَشَمَلُ مَأْتَرَةٍ لَا شَنْةَ اللَّهِ  
الْبَيْتُ كَالْبَيْتِ لَكِنْ زَادَ شَرْفًا      أَنْ الرَّشِيدَ مَعَ الْمُعْتَدِّ رُكْنَاهُ

لقد بدا الغناء في الفترة المدروسة مدعاة للتفاؤل والسعد وباباً من أبواب مدح  
الملوك والرؤساء. والقينة ذات باع طويل في الغناء والعزف والطرب، وجدناها قد  
أحسنت الضرب على العود وغنت بصوت شجي رخيماً، وربما وضعت لحناً بارعاً  
منتظماً، مما جعلها عالية الثمن عالية الشأن سامية المرتبة.

(١) نفع الطيب : ج٦ م ٣ ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه : ج٦ م ٣ ص ١٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ : ج١٠ ص ١٨٨ ط. بيروت سنة ١٩٦٦.

(٤) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

أثرت القينة على رجال الدولة في البيئة الأندلسية كما أنها أوحى للشاعر النظم البديع بجمال معانيه وسبك ديباجته وحنو موسيقاه وألحانه، وذلك لأن الغناء شيء يخص النفس نون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما أن لذة المأكول والمشروب تخص الجسم دون النفس<sup>(١)</sup>.

ونستطيع أن نقول بكل ثقة إن الشعر الأندلسي مدين للمرأة الجارية، سواء أكانت مغنية أم راقصة أم ساقية. هذا ما وصلت إليه القينة في ذلك العصر من موهبة وفطنة وإتقان في الصنعة، والجودة في الغناء ووضع في الألحان، واختيار المعنى ونظم الأشعار والضرب على العود، بحس مهرف شجي. ولم نعثر على صورة للمغنية النواحة أو ما يسمى بغناء النواح. لقد شغف الأندلسيون<sup>(٢)</sup> بالمغنيات وأغرموا بالموسيقى والرقص والغناء، ولم تقتصر مجالسهم على قصور الملوك بل شملت عامة الناس.

### الراقصة :-

شاركت الجارية في الإحتفالات العامة بالرقص والغناء كما شارك العرب تحت حكم الإسبان في إحتفالاتهم وغنائهم<sup>(٣)</sup>

كما كثرت الرقصات المشهورات بجمال الطبع وحسن الصنعة والحداقة، باللعب بالسيوف<sup>(٤)</sup>. وبلغن في إتقان الرقص وسرعة الحركة التعبيرية والإدلال بها ما لم تبلغه أختها المشرقية. كما شاع الرقص التعبيري الذي أشبه ما يكون بالرقص

---

(١) أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب: أدب النديم : ص ٢٠. ط. بولاق المطبعة الأميرية - ١٢٩٨هـ.

(٢) انظر د. سعد اسماعيل شلبي : البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر : ص ٥٥ دار نهضة مصر للطبع والنشر - جامعة القاهرة - ١٩٧٨.

(٣) انظر فصول في الأدب الأندلسي : ص ١٦٢. الطبعة الثانية.

(٤) فضائل الأندلس وأهلها : ص ٥٢.

التمثيلي، ذلك ما جاء به أبو حمديس في وصف مغنية ترافقها الراقصات وهن يتلوين كالإفاعي دلالة على تمكنهن في هذا الفن وكن يُشَرْنَ بألمهن إلى كل عضو، فإذا ذكرت المغنية دمعاً يشرن إلى العين وإذا وُصِفَتْ وَجِدًا أُشِرْنَ إلى القلب، فجسدُ تَذَلُّ المحب وتَذَلُّ المحبوب في حركاتهن، وما يحل بالعاشق والمعشوق من تعذيب الهوى، يقول<sup>(١)</sup> [المتقارب]

توافق بالرقص أقدامهنَّ      يَطَّأْنَ بِهَا نَعَمَاتِ الذنوبِ  
يُشَرْنَ إِلَى كُلِّ عَضْوٍ بِمَا      يَحُلُّ بِهِ فِي الْهَوَى مِنْ كُرُوبِ

ومثله قوله في الرقص التعبيري<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

وراقصة بالسحر في حركاتها      تَقِيمُ بِهِ وَزْنَ الْغِنَاءِ عَلَى حَدِّ  
مُنْعَمَةٌ أَلْفَاطُهَا بِتَرْنَمٍ      كَسَا مَعْبِرًا مِنْ عِزَّةِ ذُلَّةِ الْعَبْدِ  
وتحسبها عمًا تُشِيرُ بِأَنْمُلٍ      إِلَى مَا يَلَاقِي كُلَّ عَضْوٍ مِنَ الْوَجْدِ

وربما لبسن الملابس الطويلة ذات الطيات الكثيرة. ونثرن العطور الثمينة وقد تكون من المسك، فعند حركاتهن تفوح رائحة زكية. وفي وصف مثل هذا المشهد الراقص يقول<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

ومن راقصات ساحبات ذبولها      شَوَادٍ بِمَسْكِ فِي الْعَبِيرِ تَنْضَحُ  
كما جررت أذيالها في هديلها      حَمَائِمَ أَيْكٍ أَوْ طَوَاوَيْسُ تَبِذَخُ

ويبدو أن الغناء المصحوب بالرقص قد شاع في عصر الطوائف حيث كانت مجالس الأتس والطرب تغص بغناء الأشعار، التي اشتملت على المدح ووصف القصور والحدائق ومجالس الشرب في الولائم بعد أن وضعت أصوله وأرقامه

(١) ديوان ابن حمديس : ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣.

الموسيقية، ودخلت بعض الألحان من الفرس والرومان<sup>(١)</sup> واليونان وما زادة زرياب في أوتار العود وترأ خامساً إختراعاً منه، وحفظه لعشرة آلاف صوت من الأغاني بالحنانها.

### الساقية : -

لم يقتص إختيار الجارية الساقية في المجتمعات الأخرى على الصبايا أو ذوات الجمال، ولا على اللون من بياض وشقرة أو سواد وصفرة فاكلل مجلسه ونداماه. وقد ورد في أدب النديم (ولا يستحق النديم هذا الأسم حتى يكون له جمال ومروءة، أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه، وأما مروءته، فكثرة حياته في إنبساط إلى جميل ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه في غير سخف)<sup>(٢)</sup>.

أما في الأندلس فكنَّ يُصطَفَيْن من بين الجواري الصبايا الشابات الموسومات بالجمال الخلاب الفاتتات الساحرات. ذوات القدود الممشوقة الهيفاء والبشرة الصافية البيضاء، مع توافر القابلية والتمكن من الخفة والدل والغنج. وغصت مجالسهم بالأنس<sup>(٣)</sup> والطرب والخمر وكانت تتألف الجارية الساقية بينهم، ومنهن من كابدت السهر مع الندماء وجالستهم وسهرت على راحتهم وخدمتهم، ويظهر أنها تربى منذ نعومة أظفارها على ارتياد مجالس الخمر فتألف السهر إلى ساعة متأخرة، تلك هي الساقية أسماء الطفلة الصغيرة العجيبة الخلق قامت طول الليل تسقي الندمان فقال فيها ابن شهيد مرتجلاً<sup>(٤)</sup>: [مخلع البسيط]

(١) انظر بلاغة العرب في الأندلس : ص ٢١ - ٢٢ . سهام الفريخ: الجواري والشعر في العصبير العباسي الأول : ص ٧١ ط - ١٩٨١ . الكويت.

(٢) أبو الفتح محمد بن الحسين الكاتب المصروف بكشاجم : أنب النديم : ص ١٢ - ١٢٩٨ هـ .

(٣) فلانند العقيان : ص ٦ - ٧ .

(٤) ديوان ابن شهيد : ص ٣٩ ، تحقيق شارل بلا . وانظر إبراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي

في الأندلس: ص ٦٩ .

أفدى أسيماء من نديم      مُلّازم للكؤوس راتب  
 قد عجبوا في الشهاد منها      وهي لعمرى من العجائب  
 قالوا تجافى الرقاد عنها      فقلت: لا ترقد الكواكب

ولمكانة الجارية الساقية؛ أكثر الشعراء من وصفها وتغزلوا بها تغزلاً حسيّاً  
 فجاء وصفهم لخمرة خدّها وتورده ، وهيف قدها ورشاقته وفيها يقول<sup>(١)</sup>: [مجث]

وأهيف قام يسقي      والسكر يعطف قده  
 وقد ترتخ غصناً      واحمرت الكاس ورده  
 وأهيب السكر خدّاً      أوري به الوجد زنده  
 فكاد يشرب نفسي      وكدت أشرب خده

وتطالعنا ساقية أخرى ، نجدها ساقية للقهوة وليس للخمرة ويظهر أن القهوى  
 كانت تدار في مجالس أنسهم أيضاً. هذه الصبية الصغيرة الشقراء، أرعبها لمع  
 البرق، لحدائثة سنّها. يقول المعتمد<sup>(٢)</sup>: [السريع]

ريعت من البرق وفي كفها      برق من القهوة لماع  
 يا ليت شعري وهي شمس الضحى      كيف من الأنوار ترتاع

وكانت مجالس الأتس مُحفِزاً من مُحفِزات وصف الساقية والتغزل بها، ويبدو  
 للساقى أثر على النديم. وللمنادمة حق، وقد يطيب المدام بطيب المدام<sup>(٣)</sup>.

وقد تفننت الساقية بمظهرها ولباسها ومشيتها وطريقة تصفيف شعرها، فنجد  
 صورة لعذراء شقراء لبست ملابس صبية وعرقت شعرها ووضعته على صدغها  
 وفيها يقول ابن شهيد<sup>(٤)</sup>: [الرمل]

(١) ديوان ابن خفاجة : ص ٣٥٤.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد: ص ٢١، وانظر الحلة السراء: ج ٢ ص ١٠.

(٣) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء: ج ٢ ص ٦٩٣ - منشورات دار مكتبة الحياة -  
 ١٩٦١.

(٤) انظر ديوان ابن شهيد : ص ٢٨. شارل بلا وانظر المصدر نفسه: ص ٩٢ تحقيق يعقوب زكي.

وريب قام فينا ساقياً  
صبية دون الصبايا قصّصت  
كالرثا أريضع بين الربرب  
فأنت غيداء في شكل الصبي (١)  
وحماء صدغها بالعقرب (٢)  
مشيت نحوى وقد ملكتها  
مشية العصفور نحو الثعلب

ويصور لنا ابن حمد يس صورة حسية حية لساقية تظهر يدها وكأنها فم يتكلم

قائلاً (٣): [الكامل]

يا حُسن ساقية تمدّ أناملاً  
تُسقيك شمس سلاقة عنيبة  
بعروس راح في عقد حباب  
طلعت على فلك من العناب  
وكأنما يدها فم متكلّم  
بالسحر فيه مقول المضراب

ولا يقتصر السقاة على النساء وحدهن، بل كان بعض الغلمان يقومون بهذه

المهمة الماجنة يقول الحكيم (٤) أبو الصلت أمية المتوفى (٥٢٩هـ)

من يد ساق ساق نحوى الحنفا  
يدار غصناً ناعماً وحقفا  
بمقلة تغري الدلاص الزعفا  
يزيح نصفاً ويميس نصفاً  
وصير الحسن عليه وصفا  
فما رآه أحد فَعفا

نجد المعتمد بن عباد شرب كأسه في صحة جاريته وداد ربما كانت ساقية في

مجالسه ، وقد سُكا من جفاتها ، فشرب الكأس وتذكرها قائلاً (٥): [الخفيف]

(١) هذا المصراع في المسالك (فأنت عذراء شبه الذهب). انظر هامش الصفحة .

(٢) ديوان ابن شهيد : ص ٢٨- ٢٩ جمع شمال بلا.

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص ٢١ .

(٤) ديوان الحكيم ابي الصلت أمية: ص ١٢٤ ، تحقيق محمد المرزوقي . ط . دار الكتاب :

١٩٧٤ .

(٥) انظر نفع الطيب : ج ٥ ص ٢٣٣ . لم أجد الأبيات في الديوان علماً أشار إليها في فهرست

الطبعة المعتمدة.

إشرب الكأس من وداٍ وداٍك  
وتأسن بذكرها في أنفردك  
قمر غاب عن جفونك مرأ  
ه وسكناه من سواد فؤادك

وكانت الجوارى تدير حانات الخمر، في ذلك قال ابن اللبانة المتوفى (٥٠٧ هـ) <sup>(١)</sup>: [الكامل]

ولرب ربة حانة نبهتها  
والجو لؤلؤ طله قد رضرها  
وتظهر صورة الجارية الغلامية واضحة عند الشاعر الأسعد\* بن بليطة  
المتوفى (٤٤٠ هـ). فيصورها بملابس الصبايا الغلمان وقد وضعت خالاً أسود من  
المسك على خدها. وخطت شارباً أخضر فوق قمها الصغير. وشعرها الذي أكسب  
مشطها المصنوع من العنبر رائحة عطرة بعد أن ضمختها بالطيب <sup>(٢)</sup>: [الطويل]

توهم عطف الصدغ نوناً بخدها  
فباتت بمسك الخال تنقطة نقطا  
غلامية جاءت وقد جعل الثجي  
لخاتم فيها فصتي غالية خطا  
عدت تنقع المسواك في برد ثغرها  
وقد ضممت مسكاً غدائر المشطا  
أرى نكهة المسواك في حمرة اللمس  
وشاربك المخضر بالمسك قد خطا

(١) شعر ابن اللبانة : ص ٦٠.

\* الأسعد بن بليطة : هو أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبي كان ثائراً وشاعراً  
مجيداً تردد بين بلاطات ملوك الطوائف يتكسب بالشعر وهو من شعراء المعتصم بن صمادح.  
نال جوائز الملوك وتوفى سنة ٤٤٠ هـ انظر الذخيرة: ٢ ق ١ ص ٧٩٠ - ٧٩١ ط. ١٩٧٨  
والخريدة : القسم الخاص بشعراء المغرب والأندلس : ص ٦٧٦.

(٢) انظر الخريدة: ص ٦٧٦ وانظر عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي: ج ٤ ص ٤٩٣ ط.  
الأولى - دار الملايين ١٩٨١.

ولقد وردت هذه الأبيات في ملحق ديوان المعتمد بن عباد : ص ١٢٠ تحقيق أحمد احمد بدوي  
، نقلاً عن !. ر. نيكل ، ويبدو أنها جاءت سهواً والحقيقة أنها لأسعد كما ورد ذلك لأن نيكل  
لم يشر إلى قائلها.

## رثاء الجوّاري ونديهن : -

نجد الأسف والحسرة والألم على فقدهن واضحاً في بعض ما جاء من الشعر في رثائهن منبعثاً من أصحابهن الشعراء ، واسيادهن ومحبيهن. وفي رثاء جوهرة يقول ابن حمد يس (١): [المنسرح]

واوحشتد من فراق مؤنسة      يُميتني نكرها ويحييها  
أذكرها والدموعُ تُسبقني      كأنني للاسى أجاريها

ويلاحظ على ابن حزم شدة الحزن وعمق العاطفة وغورها في قلبه، لفقده جاريته نعم ، تلك الجارية التي أحبها حباً ، ملك عليه شغاف قلبه، وأفاض به سبيل وجدانه، فجعته بها الأقدار فصارت تحت التراب، فقام سبعة أشهر بعدها لم يتجرد من ثيابه حزناً عليها. يقول (ولو قبل فداء لقيديتها بكل ما أملك من تاليد وطارق، وبيعض أعضاء جسمي العزيزة علي . مسارعاً طائعاً وما طاب لي عيش بعدها ولا نسيت ذكرها. ولا أنست بسواها. ولقد عقى حبي لها عن كل ما قبلة وحرّم ما كان بعده) (٢).

والجارية الشقراء نعم التي توفيت دون سن العشرين. تركت أثراً بارزاً في نفسية الفقيه ابن حزم صاحب فلسفة الحب العذري (٣).

وطيفها زار خيالة وقتع بمزارها ، وللشعراء في علة مزار الطيف أقاويل بديعة بعيدة المرمى ومنها يقول (٤): [الطويل]

أتى طيفُ نعمٍ مضجعي بعد هدأة      وللليل سلطانٌ وظلٌّ مُمدّد

(١) ديوان ابن حمد يس : ص ٥١٧ . ط. دار صادر - ٦٠ .

(٢) طوق الحمامة: ص ١٥١-١٥٢ . وانظر طه الحاجري : ابن حزم صورة أندلسية : ص ٦٦ .

(٣) انظر طوق الحمامة : ص ١٦٠ . هامش الصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٦٠ .

وعهدي بها تحت التراب مقيمةً وجاءت كما قد كنتُ من قبلُ أعهدُ

ومثلُ قوله<sup>(١)</sup>: [الوافر]

فروحي، إنْ أنمَ بكِ ذو إنفرادٍ من الأعضاءِ مُستترٌ وخفي  
ووصلُ الرُّوحِ ، ألطفُ فيكِ وقعاً من الجسمِ المواصلِ ألفَ ضغفٍ

ونجد المعتمد بن عباد عندما يزوره طيف من يهوى، لا يقنع إلا أن يظفر في النوم، بما كان يظفر به في اليقظة على الرغم من ابتذال الجواري وكثرتهم لديه. وفي ذلك يقول<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

إنِّي رأيتُكِ في المنامِ ضجيجتي وكانَ ساعدكِ الوثيرَ وسادي  
وكانما عانقتني، وشكوتِ ما أشكوهُ من وجدي ، وطولِ سُهادي

ومثله قول ابن اللبانة الداني في وصفه لطيف خياله، قائلاً<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

وما أنسَ لا أنسَ الخيالَ الذي سرى سرى البرقُ من داجٍ من الليلِ مظلمٍ  
أتى بهدياتٍ فما مدَّ راحةً وأدى رسالاتٍ ولم يتكلمِ  
لثمتُ الثرى حيثُ استقلتِ بي الخُطى فلاقحتني عن ردعٍ مسكٍ مُختمِ

ومن الشعراء من وصف لنا غادته التي زارته في طيفه، صاحبة الوجه الذي فاق الشمس والقمر جمالاً، ذات الشعر الأسود الطويل والقوام الأهيف الجميل

(١) طوق الحمامة : ص ١٦١. استمد الغرب من حياة ابن حزم وحياة الأندلسيين في القرن الخامس الهجري وذلك بترجمة هذه القصص إلى الفرنسية على يد المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣) في كتابه تاريخ مسلمي اسبانيا. أنظر المصدر السابق ص ١٦٠ الهامش.

(٢) ديوان المعتمد : ص ١٩. ط. أحمد أحمد بدوي.

(٣) شعر ابن اللبانة: ص ٩٥ - ٩٦.

والخصر النحيل ، فجاءَ منامُهُ عبارةً عن وصفِ حَسِّي لجمالِ الجسدِ، قال أبو الحسنِ عليُّ بن حمزة الضريّر الأندلسي في ميميتِه سنةً ثلاثٍ وستين وأربعمائة<sup>(١)</sup>: [السريع]

أهلاً بطيفِ زارني في المنام  
بجيدِ جِداءٍ وعيني مهأ  
ووجهُها الأقرِ إذ تزدهي  
وشعرها الجتل<sup>(٢)</sup> الأثيث الذي  
وورد خدَّ فوقه عقربُ  
قامتُها كالغصنِ مشوقةً  
من عادةٍ تفتنُ كلَّ الأنامِ  
أقصدُ من لحظها في السهامِ  
به على الشمسِ ويدر التمامِ  
يُحكي إذا امتدَّ النفاثُ الظلامِ  
من صدغها تمنعه أن يُرامِ  
والخصر في إرهافه كالزمامِ

وكثيراً ما سحرت الجارية الرجال بألفاظها الرخيمة التي ملكت قلوبهم ونفتت بها على ألبابهم. يقول ابن حزم<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

كأنني لم أنس بألفاظك التي  
ولم أتحمم في الأماني كأنني  
على عقد الألباب هنّ نوافسُ  
لأفراط ما حكمت فيهن عابثُ

لقد ازدحمت دارُ المدنيات بالقيان كما ازدحمت قصور الملوك بهن وبلغت الأعدادُ عند بعضهم أرقاماً خيالية لا يُصدقها العقل، ولا يخلو دارُ الرجلِ الفقير الحال من جاريةٍ واحدةٍ على الأقل. فابتدأهن في مجتمع كالمجتمع الأندلسي وتنوع أعمالهن من جوارٍ للخدمة واللذة والمتعة وساقيات في المجالس ومغنيات وراقصات، شكلاً ظاهرةً متميزة، وتغزل بهن الشعرَ لما إتصفن به من رقةٍ طبع وحسنٍ وظرفٍ، واستطعن أن يثرن في نفوس أسيادهن من الإعجاب والحب ما بدا اثره واضحاً في أشعارهم علاوةً على ما تمتعن به من ثقافةٍ وتعليمٍ وتهذيبٍ وفنٍ وصنعةٍ في الموسيقى

(١) علي بن الحسين البخارزي ت ٤٦٧هـ : دمية القصر وعصرة أهل العصر ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ . ط . ١٩٧٢ .

(٢) الجتل من الشعر: الكثير الملتف.

(٣) طوق الحمامة: ص ١٥٢ .

والرقص والغناء ، فراح الشعراء يولّهون ويلهون بهنّ ويعبثون ويتغزلون. وهذه  
اللمحة السريعة في الأشعار التي قيلت في النسوة اللاتي كان لهنّ كبير الأثر على  
الشعراء فعرضوا لنا إنفعالاتٍ وخلجاتٍ نفوسهم التي كانت يقظة في وجدانهم وربما  
كان لهنّ مثيلات ولكن الرجال الذين أحبوهن لم يعتوا من طبقة الشعراء فضاعت  
أخبارهنّ . وسنتكلّم في فصلٍ لاحقٍ عن شعر جوارى عصر الطوائف.